سلسلة مجموعة الرسائل

رسالة عبد الله بيك

تأليف

السيد محمد كاظم الحسيني الحائري الرشتي قدس سره

١٢١٢ - ١٢٥٩هـ

طبع بأمر وإشراف

الحكيم الإلهي والفقيه الرباني

المولى الحاج ميرزا عبد الله الحائري الإحقاقي

دامت بركاته

مراجعة وتحقيق

لجنة السيد الأمجد

لإحياء تراث الشيخ الأوحد والمشايخ العظام

أعلى الله كلمتهم

الطبعة الأولى

٢٠٠٨ - ١٤٢٩هـ

مكتبة العذراء



تأليف

السيد محمد كاظم الحسيني الحائري الرشتي

قدس سره

١٢١٢ - ١٢٥٩هـ

طبع بأمر وإشراف

الحكيم الإلهي والفقيه الرباني

المولى الحاج ميرزا عبد الله الحائري الإحقاقي

دامت بركاته

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م

كلمة الحكيم الإلهي والفقيه الرباني

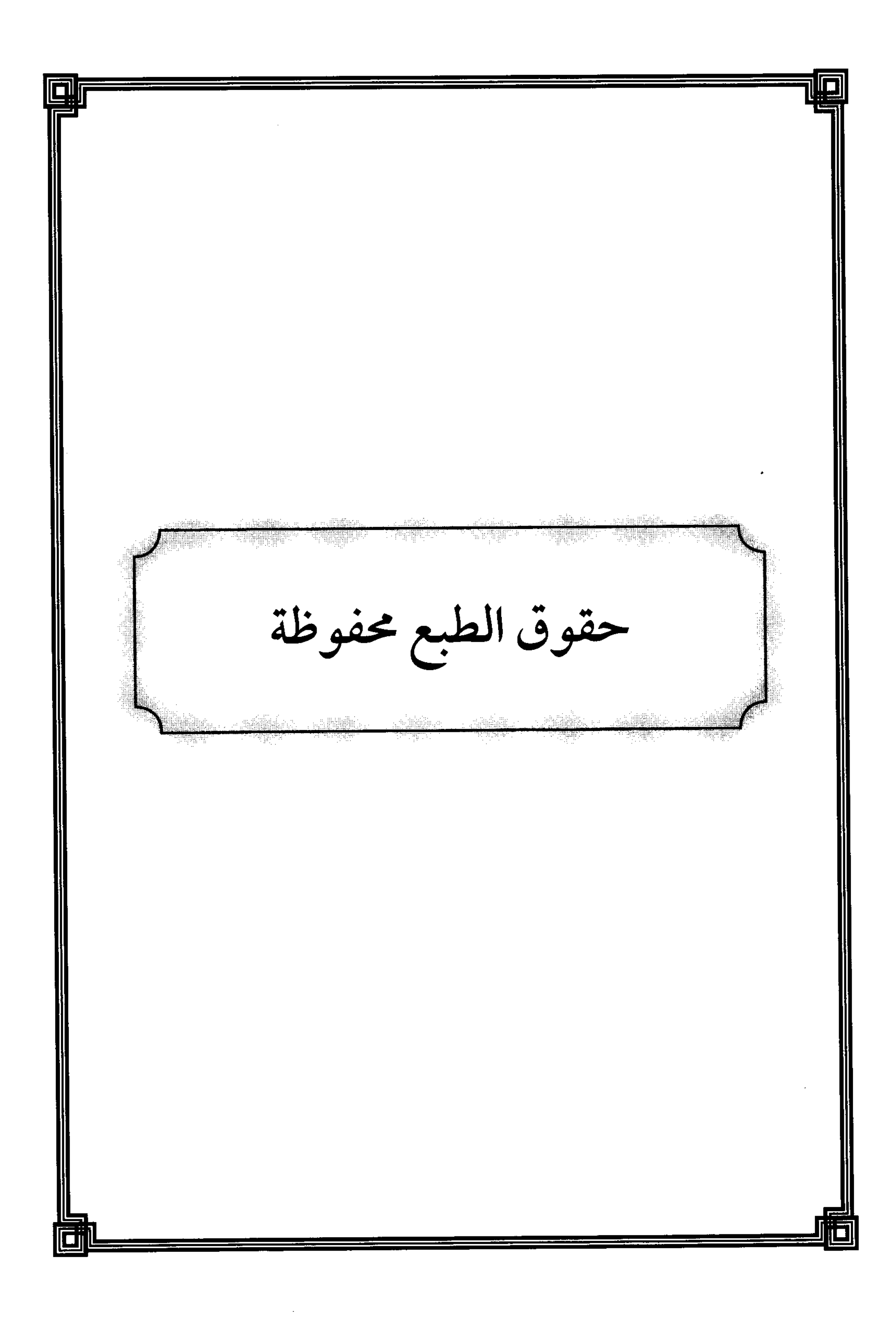
الحاج ميرزا عبد الله الإحقاقي

بسمه تعالى

لاحظت رسالة عبد الله بيك من رسالات سيدنا الامجد السيد محمد كاظم الرشتي اعلى الله مقامه التي قام بطبعها الاخ الفاضل الشيخ حسين علي المطوع حفظه الله و وجدتها نافعاً جداً، نطلب من الله أن يستفيد المؤمنون والمؤمنات من هذه المجموعة الروحانية بحق محمد وآله الطاهرين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبد الله عبد الرسول

الاحقاقي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

أما بعد فيقول العبد الفقير الحقير الجاني كاظم بن قاسم الحسيني أن الأخ السديد والولي الرشيد الزكي اللوذعي واللبيب الألمعي الموفق بتأييد الله عبد الله بيك ابن المكرم المعظم المقدم المفخم نصر الله بيك وفقه الله لمراضيه وجعل مستقبل حاله خيرا من ماضيه وأمده بما يحبه ويرضيه قد أتى بمسائل عريضة جليلة صعبة المنال وبعيدة الوصال وهي بعدد قوى الواحد من قوله عز وجل ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾[1]، وقد جرى ذلك منه على مقتضى الفطرة الطيبة والطبيعة الصافية وأراد من الفقير جوابها وكشف نقابها وأنا في غاية الاشتغال وتبلبل البال وتعارض الأحوال، ولكنه لما كان أهلا للجواب وطالبا للحق والرشد والصواب أجبت مسئوله ولكني متعذر من بسط المقال وشرح حقيقة الحال لما أنا فيه من غاية الكلال والملال وآت بما هو الميسور لأنه لا يسقط بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور.

قال سلمه الله تعالى: المسألة الأولى ما التوحيد وأدلته ومراتبه وأركانه.

---

(١) سبأ ٤٦

معنى التوحيد

أقول: اعلم أنه سئل مولانا الصادق عليه السلام عن التوحيد بعبارة مختصرة قال عليه السلام (التوحيد ألا تتوهمه)[1] انتهى، ومعنى التوحيد أن تنزهه سبحانه عن كل شيء مستقل سواه وترى كلما سواه آثار أفعاله وظهورات صفاته كما ترى زيدا مع صفاته وأفعاله وأحواله من قيامه وقعوده وحركاته وسكناته وتجد كل هذه الأفعال فانية باطلة مضمحلة عند ذات زيد ولا قوام لها إلا به، وكذلك الموجودات والكائنات والمكونات والإمكانات كلها بالنسبة إلى فعله تعالى نسبة قيامك إلى فعلك فلا تذكر معه كما أني إذا سألتك من في البيت تقول زيد ولا تقول زيد مع قعوده وحركته وكلامه وسائر أحواله لأنها لا تجتمع معه حتى تذكر عند ذكره، وكذلك الخلق مع الله سبحانه فهوسبحانه واحد أبدا ولا يذكر الخلق معه في رتبة ذاته ولا عند ظهور أفعاله بل الخلق في مقامات الأثر وأنى هو مع المؤثر وأين الثريا من يد المتناول وأين التراب ورب الأرباب.

أدلة التوحيد:

وأما أدلة التوحيد فهي موجودة في الآفاق وفي أنفس الخلايق بل لا تجد ذرة من ذرات الوجود إلا وهي ناطقة له بالتوحيد والتفريد كما قال مولانا الصادق عليه السلام :

فوا عجباه كيف يعصى الإله   أم كيف يجحده الجاحد

---

(١) نهج البلاغة ج٤ ص١٠٨

وفي كـــل شـيء لـه آيــة   تدل على أنه واحــــد[1]

وأما دليل المجادلة بالتي هي أحسن كما هو مراد جنابك فاعلم أنه لو كان إله آخر لوجب أن يكون في الأزل إذ لا واسطة بين الأزل والإمكان فإذا جعلت الأزل ظرفا يشملهما ويسعهما فكان محيطا بهما وكان أوسع من كل منهما وكلما هو محيط على شيء وأوسع من شيء فلا شك أنه أشرف وأعظم من ذلك الشيء، فإذا ثبتت الأشرفية للأعلى بطلت الألوهية لهما فلا يكونا إلهين لوجود ما هو أشرف منهما وأوسع منهما.

فإن قلت ليسا في الأزل فكانا في الإمكان.

فإن قلت أن الأزل عين حقيقة واحد منهما فتفرد بالأزلية فيكون الآخر حادثا في الإمكان.

وإن قلت أن الأزل هو عين حقيقتهما قلت بماذا افترقا، فإن قلت بنفس الأزلية قلت يلزم أن يكون ما به الامتياز عين ما به الاشتراك وفيه تناقض بين لأنهما إذا كانا متمايزين بالذات فلا معنى للقول بالاشتراك في الأزلية، ولا يكون هذا التمايز الذاتي إلا أن يكون أحدهما فاقدا للأزلية فيكون الفاقد ممكنا حادثا والواجد هو ربا قديما، وإن كان كلاهما واجدين للأزلية فثبت الاشتراك، فإن فرضت الاثنينية والتمايز فيجب أن يكون التمايز بأمر آخر فيكون كل منهما مركبا من جهة الاشتراك ومن جهة الامتياز، والتركيب نقص لأنه موقوف على الأجزاء ومحتاج إليها فإذا كان محتاجا فيضطر إلى آخر يسد فقره ويغني حاجته فلو كان ذلك أيضا مركبا لاحتاج إلى آخر

(١) شرح نهج البلاغة ج٦ ص٤١٢

فثبت أن الغني الذي يسد فقر كل فقير يجب أن لا يكون مركبا، فإذا بطل التركيب بطلت الاثنينية لأنها مستلزمة له لا محالة، هذا إذا فرضتهما في رتبة واحدة، وأما إذا كانا في رتبتين كالواجب والممكن فلا يلزم التركيب، إذ امتياز كل واحد بنفس ذاته ومعنى ذلك أنه لا اشتراك هناك حتى يحتاج إلى التمييز وقد اشتهر عندهم ما لا جنس له لا فصل له وذلك معلوم بين إنشاء الله.

ثم إن طلب الدليل على التوحيد عند فرض تصور الشريك وإلا لكان الطلب غير معقول بالضرورة وأنى للممكن وتصور الواجب سيما على جهة الامتياز لأن كل شيء لا يدرك ما وراء ذاته وحقيقته، فلا يدرك الأعلى منه إلا بالآية والدليل، وآية العلة حقيقة ذات المعلول من حيث هي، وذات كل شيء من حيث هي واحدة وحدة حقيقية فلا يتوجه بها إلا إلى الواحد وليست في ذاته جهة أخرى حتى يدرك بها القديم الآخر ويميزه، فإذا بطل إدراك الإله الآخر وتصوره بطل الاستدلال على نفيه لأن نفي الشيء فرع إدراك فرض ثبوته وهوفي هذا المقام فرع تعدد حقيقة ذات كل شيء، لأن إدراك الواجب لا يكون إلا بوجه منه وذلك لا يكون في المراتب السافلة، فوجب أن يكون في أعلى المراتب وليس أعلى من مقام ذات الشيء مقام ولا مرتبة، فيكون ذلك وجها للواجب وآية ودليلاً لمعرفته حيث امتنعت معرفة كنه حقيقته تعالى، فيتوجه إليه تعالى بذلك الوجه، فلوكان إله آخر لوجب أن يكون في الحقيقة والذات تعدد ذاتي ليكون كلَّ وجها لمبدئه فيدركه به، ولا تعدد في الذات لأنك تجد نفسك

وتلاحظها مع قطع النظر عن جميع الكثرات والإضافات والقرانات، فلو كانت ذاتك متعددة للزم أن لا يمكن لك إدراك الوحدة، لأن المدارك كلها ظهورات الحقيقة والذات وشئوناتها وأطوارها وهي أنزل رتبة منها، فإذا امتنعت الوحدة في الذات التي هي أعلى المقامات ففي المقامات السافلة بالطريق الأولى فيجب أن لا يدرك الوحدة أبدا ولا يمكن لأحد أن يقول أنا وإنما يجب أن يقول نحن لما في ذاته من التعدد واللوازم كلها باطلة بالضرورة فبطل إدراك القديم الآخر بكل جهة، فبطل طلب الدليل عليه أصلا في الحقيقة.

وقول أهل المنطق في تعريف الكلي والجزئي أن الكلي ما لا يمنع نفس تصوره عن وقوع الشركة فيه، والجزئي ما يمنع نفس تصوره عن وقوعها، وقالوا إنما قيدنا نفس التصور لدخول مفهوم الواجب في الكلي وخروجه عن الجزئي، لأن مفهوم الواجب لا يمنع وقوع الشركة فيه من حيث نفسه، وإنما يمنع بدليل خارج، قالوا ولولا ذلك لما احتاج أحد إلى إثبات التوحيد، وهذا القول فاسد لأن المفهوم المدعى لا يخلو إما أن يكون مطابقا للمصداق أم لا، والثاني لم يكن مفهوما ولا فائدة في الكلام فيه، والأول فهل عدم منعه عن الشركة صدق أوكذب، فإن كان صدقا كيف يبطله الدليل الخارجي، وإن كان كذبا فهو. فإن قيل أن الدليل يمنع عن تحقق الأفراد غير الفرد الواحد الذي هو الحق سبحانه، فالواجب حقيقة كلية تصلح لأفراد غير متناهية، ولكنها امتنعت إلا الواحد فطلب الدليل لأجل صلوح المفهوم الكلي لكثرة الأفراد، والدليل يكشف عما الواقع عليه.

قلت إذا جعلت الحق سبحانه فردا من مفهوم الواجب، ولا شك أن الفرد مركب من الكلي والقيد الخارجي بالضرورة، فكان الحق سبحانه على زعمهم مركبا فقد خرجوا على زعمهم من كثرة الأفراد ودخلوا في كثرة التركيب، فإن قيل أن تركيب الحق سبحانه عما به الاشتراك وما به الامتياز تركيب عقلي وهويصح على الله كما ذهب إليه جماعة من أهل الإسلام، قلت إن مناط استحالة التركيب على الله تعالى لزوم الفقر والحاجة إلى الأجزاء، وهوفي الحالتين ثابت، إلا أن تقول أن التركيب في الذهن والعقل، والخارج ليس فيه تركيب، فإنا نقول قد كان قولك هذا ونسبته إلى الله (حينئذ) كذبا فيكون هذا المفهوم باطلا كما أتي فلا تركيب في الواجب فإن ما تصورته غير الواجب الحق الذي مرادنا، فوقع تصورك وفهمك على غير المراد فإن كان على المراد فلزم ما ذكرنا فبطل ما كانوا يعملون. وأما الاحتياج إلى الاستدلال في التوحيد على الظاهر فليس كما توهموا من اقتضاء مفهوم الواجب إياه وإنما هو مكنسة لغبار الأوهام، فإن الوهم المشوب بخلط ظلمة المعصية والإدبار عن الله سبحانه يصور شيئا ممكنا ذا حدود وأعراض ويسميه شريكا لله سبحانه إفكا وإلحادا، كما أنهم صنعوا الأصنام على صور شتى وسموها شركاء لله تعالى، وهذا التصور الباطل لما كان يفسد عليهم أمرهم في توجههم وإقبالهم وسير حقايقهم وكينوناتهم قيل لهم لا إله إلا الله ولا شريك له، وذكروا بعض الأدلة إذهابا لتلك الواهمة وإزالة لذلك الغبار وإلا فكيف يمكن التصور والإدراك لأن شريك الله يجب أن يكون جامعا لصفات القدس، فوجب

أن لا يكـون لـه صورة ولا كم ولا كيف ولا جهة ولا حد ولا اقتران وإلا لـكان محـدودا مركبا حادثا، وليـس في التصور إلا الصـورة فكيف يمكن أن تكـون تلك الصورة صورة الشريك لله سـبحانه، فـإذا نظروا إلى العين التي لا كيف فيها ولا حد ولا صورة ولا جهة فهناك يرتفع التمايز وتبطل الكثـرة، فـلا يشـاهد إلا الوحـدة، فأيـن إدراك الشريـك، ولـذا تجد أهل المعرفـة والصديقين المخلصـين لا يحتاجون إلى الدليـل ولا يطلبونه بوجه من الوجوه، حتى يؤول أمرهم إلى أن لا يشـاهدوا في الوجود سـواه، كما قـال مولانا الحسـين روحي فداه وعليه السـلام في الدعاء (كيف يسـتدل عليـك بـما هو في وجـوده مفتقر إليك أيكـون لغيرك من الظهـور ما ليس لـك حتـى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عين لا تراك ولا تـزال عليها رقيبا وخـسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا)[1] الدعاء فافهم وفقك الله لما يحب ويرضى.

مراتب التوحيد

وأما مراتب التوحيد فاعلم أنها من حيث نفس التوحيد أربعة وهي: توحيـد الذات كما قـــال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞ﴾[2] . وتوحيـد الصفـات كـما قال تعـالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ

(١) بحار الانوار ج٦٤ ص١٤٢ -ج٩٥ ص٢٢٦

(٢) النحل ٥١

شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1].

وتوحيد العبادة كما قال عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[2].

وتوحيد الأفعال كما قال عز وجل: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3] وقال ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾[4].

مراتب الموحدين

التوحيد الذاتي

ومن حيث الموحد بكسر الحاء اثنتان إحداهما التوحيد الذاتي وهو توحيد الله سبحانه نفسه لنفسه بنفسه كما قال تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[5] وهذا التوحيد لا يتيسر لأحد من المخلوقين وفي هذا المقام قالوا (ما عرفناك حق معرفتك) أنا لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

التوحيد الصفاتي

والثانية التوحيد الصفاتي وهو توجه الخلق إلى توحيده سبحانه ومعرفته

---

(١) الشورى ١١

(٢) الكهف ١١٠

(٣) الرعد ١٦

(٤) فاطر ٤٠

(٥) ال عمران ١٨

بظهور آياته وصفاته، كما قال تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[1] فكل الخلق يتوجهون إلى الله سبحانه بما تعرف لهم به، أي بما وصف نفسه لهم إذ لا تمكنهم معرفة ذاته تعالى على الحقيقة، فيجب أن يعرفهم نفسه بوصفه لهم إياها فلولا ذلك الوصف لا يمكن لأحد أن يعرفه تعالى، كما قال سيد الساجدين عليه السلام (بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدر ما أنت)[2] ومعنى أن الله عز وجل وصف نفسه لهم، أنه تعالى خلق فيهم صفة معرفته وهيكل توحيده، بحيث إذا عرفوا تلك الصفة عرفوا الله سبحانه بمقدار ما ظهر لهم مما يمكن في حقيقة ذاتهم والخلق كلهم يتوجهون إلى الله عز وجل ويوحدونه بتلك الصفة المودعة في حقايقهم، وهوقول أمير المؤمنين عليه السلام (بل تجلى لها بها وبها امتنع منها)[3] ولذلك سمينا توحيد المخلوقين بالتوحيد الصفاتي، وهذا التوحيد على أربع مراتب بحسب مراتب الشخص في وقوفه في العوالم.

توحيد العوام

المرتبة الأولى توحيد العوام أهل التقليد الذين لا يعرفون إلا الرسم وإلا الاسم لا الحقيقة ويسمى توحيدهم توحيد العبادة، حيث ظهر لهم الحق

---

(١) فصلت ٥٣

(٢) الاقبال ١٤٨

(٣) بحار الانوار ج٤ ص٢٦١ -الاحتجاج ج١ ص٢٠٤ ،نهج البلاغة ٢٦٩

بصفة المعبودية، وصدقوا الأنبياء والرسل والكتب، وآمنوا بمضمون ما قالوا من غير أن يذوقوا بقلوبهم ويدركوا بسرائرهم وكينوناتهم.

توحيد العوام الأعلى

والثانية توحيد العوام أيضا لكنهم في مقام أعلى، وهم الذين عرفوا الأثر واستدلوا به على المؤثر فكان استدلالهم إنيا، ويسمى ذلك التوحيد بتوحيد الذات لعدم خصوصية صفة خاصة واسم خاص كالأولى، وهذا شأن المتكلمين وحكماء المشائين والرواقيين.

توحيد الخواص

والثالثة توحيد الخواص وهم كما قال أمير المؤمنين عليه السلام (ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله أومعه)[1] وهؤلاء يستدلون على الأثر بالمؤثر، ودليلهم في معرفة الأشياء وحقايق الموجودات كلها لمي، ويرون الحق سبحانه أظهر من كل شيء بل لا يرون ظهورا إلا ظهوره، ولا يشاهدون نورا إلا نوره، كما قال عليه السلام في الدعاء (ولا يرى فيه نور إلا نورك، ولا يسمع فيه صوت إلا صوتك)[2] وهذا التوحيد يسمى بالتوحيد الشهودي، وهو شأن أهل القلوب من الإشراقيين والربانيين.

---

(١) مفتاح الفلاح ٣٥٩

(٢) بحار الانوارج٨٧ص٢٠٣-البلد الامين ١٣٣-مصباح الكفعمي ١٢٦-مصباح المتهجد ٤٨٠

توحيد الخصيصين

والرابعة توحيد الخصيص وهم أخص الخواص وهم الذين عرفوا الله بالله فنسوا أنفسهم ونسوا غيرهم ولم يجدوا ولم ينظروا إلا إلى الله صانعهم وبارئهم ودكوا جبل انيتهم وهو المسمى بالتوحيد الحقيقي، وهو شأن أولي الأفئدة من الحكماء الإلهيين.

وتلك المراتب الأربع الأول تلحظ في هذه المراتب فتحصل ستة عشر مرتبة وهذا المجموع يلحظ في ثمانية مراتب، مرتبة الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله، ومرتبة الأنبياء، ومرتبة الإنسان، ومرتبة الجن، ومرتبة الملك ومرتبة الحيوان، ومرتبة النبات، ومرتبة الجماد، والحاصل من ضرب المراتب الستة عشرة مع الثمانية هو كليات مراتب التوحيد، ولها مراتب أخر لا يسع الوقت لبيانها ،وقد شرحت هذه المراتب بما لا يزيد عليه في تفسيرنا على آية الكرسي ومن أرادها مفصلا فليطلب هناك عند بيان قوله تعالى ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[1].

وأما أركان التوحيد فهم قصبة الياقوت أي محمد وآله الطاهرون عليه وعليهم السلام وإنما كانوا أركانا للتوحيد لأن التوحيد لا يتحقق إلا بهم وفيهم وعنهم لأنهم عليهم السلام، آيات الله العظمى التي أراها الله في الآفاق وفي أنفس الخلايق كما قال الصادق عليه السلام وأي آية أراها الله في الآفاق وفي أنفس الخلايق غيرنا وقال أمير المؤمنين عليه (ما لله نبأ

(١) البقرة ١٦٣

اعظم مني ولا لله آية أعظم منى)[1] وهم معاني صفاته تعالى كما قال الباقر عليه السلام عن علي عليه السلام (نحن معاني الله ونحن علمه ونحن حكمه ونحن حقه) الحديث، وهم أبواب الله إلى خلقه وأبواب خلقه إلى الله كما قال عليه السلام في الزيارة (من أراد الله بدء بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجه بكم)[2] الزيارة، وهم عليهم السلام حملة علمه ومفاتيح غيبه وخزان سره وحفظة أمره ونهيه فلا يظهر التوحيد للخلق إلا بهم ولا يصدر إلا عنهم ولا يتحقق إلا فيهم وسنزيدك بيانا إنشاء الله تعالى فيها بعد.

معنى الصفة

قال أيده الله تعالى: المسألة الثانية ما معنى الصفات الذاتية والفعلية؟.

أقول: اعلم أن المراد من الصفة في هذا المقام هو الكمال والكمال المطلق للشيء هو ذاته لا غيره إذ كلما سوى ذاته ليس له، وغاية الكمال وأصله وينبوعه ومنشؤه الوحدة والبساطة وكلما سوى الوحدة والبساطة نقصان لرتبة الذات فتكون الكثرة والتعدد والاختلاف من لواحق الآثار والشئونات والأطوار لأن الكثرة والوحدة بينهما تضاد فلا تجتمعان لأن الكثرة علامة الحدوث والإمكان والوحدة آية القديم فيستحيل فرض

---

(١) شواهد التنزيل ج٢ ص٤١٧ -تفسير القمي ج٢ ص٤٠١ -تفسير الفرات ٥٣٣ -بحار الانوار ج٣٦ ص٣- الكافي ج١ ص٢٠٧

(٢) الفقيه ج٢ ص٦١٥ -التهذيب ج٦ ص٩٩ -مستدرك ج١٠ ص٤٢٣ -بحار الانوار ج٩٩ ص١٣١ -البلد الامين ص٣٠٢

اجتماعهما في رتبة واحدة فلا كثير إلا الممكن ولا واحد إلا القديم الأزلي أو آية القديم، فعلى هذا فمقتضى الكمال المطلق للقديم أن يكون أحدي الذات وأحدي المعنى والكثرة والتعدد هناك، نقص يستحيل فرض تحققها هناك فالصفات إن أريد بها الجمع والتعدد يمتنع أن تكون في ذات الحق القديم تعالى وتقدس ولذا قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام (كمال التوحيد نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة على أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف على أنه غير الصفة وشهادة الصفة والموصوف بالاقتران وشهادة الاقتران بالحدث الممتنع من الأزل الممتنع من الحدث)[1] انتهى. وإن أريد بها الوحدة بلا فرض المغايرة والمخالفة لا في المفهوم ولا في المصداق لا في الوهم ولا في الخارج ولا في نفس الأمر فصحيح وإنما يراد بها الذات البحت الكامل المطلق الذي لا نقص فيه بوجه، وقد علمت أن الكمال المطلق في حق الواجب سبحانه هو الوحدة المطلقة الغير المشوبة بشيء من شوب الكثرة وخلط التعدد ولو بالفرض والاعتبار.

الصفات الذاتية

فمعنى الصفة الذاتية ليس إلا الكمال المطلق الذي هو عين الذات يعني هو الذات من غير فرض المغايرة بوجه ولكن لما كان الكامل المطلق له آثار وأفعال وأنوار، وتلك الآثار مختلفة اختلفت ظهورات ذلك الكمال المطلق بحسب اختلاف الآثار، فكل أثر منبىء عن صفة وتلك الصفة

(١) بحار الانوار ج٤ ص ٢٨٤ التوحيد ٥٦

إنـما امتـازت عن غيرهـا في رتبة الأثـر لا في ذات المؤثر، لكن هـذا الإنباء علـى قسـمين، إنباء عن اتصـاف الذات بها يعني أن ذلـك الأثر يحكي عن اتصـاف الـذات بها لا من حيـث تلك الصفة الظاهـرة في الأثر فإنها صفة رسـم وحـدوث، ولا من حيث التعدد والتكثر، فإنـه إنما كان في الحدوث والكثرة في رتبة الأثر، بل من جهة الوحدة، لكن لا من حيث جهة تخالف جهـة الذات، بل من حيث أنها عين الذات، وعين الصفة الأخرى، لما قلنا لـك أن امتيـاز الصفات إنما كان من جهـة المتعلق لا من جهة أصل الصفة التي هي الكمال المطلق، مثلا إذا رأيت زيدا في مرايا متعددة مختلفة بحسب الألـوان والأحوال ترى أمثلة مختلفة وتلتفت بتلك الأمثال والصفات إلى زيـد الخارجي المقابل، وتصف زيدا بتلـك الأوصاف لكن لا من جهة أن تلـك الأوصاف الظاهرة في المرايا هي الموجـودة في المقابل، ولا أن المقابل مقترن بها ،ولا أنه مختلف متكثر بتكثر المرايا واختلافها في الألوان وسـاير الصفـات، فتحكم على زيـد بتلك الصفات منزها له عنهـا وعالما بأنها إنما اختلفـت في المرايـا لا في أصل الذات، وكذلك حين تقـول الله عالم وقادر لا تلتفـت بهـما إلا إلى الـذات الواحدة وتعلم أن العلم والقـدرة إنما امتازا بحسـب المتعلق أي المعلوم والمقدور وتعلم أيضا بأن هذا العلم الظاهر في المعلوم والقدرة الظاهرة في المقدور، ليسا هو الذات البحت وإلا اختلفت الـذات وجاءت الكثرة فيما تمتنع فيه وإنـما العلم هو عين القدرة وهما عين الـذات والمتعلق هو الظهور، وكذلك حكم سـاير الصفات وهذا القسـم من الصفة ليس منحصرا في الثمانية كما زعموا وتوهموا أن الصفات الثبوتية

ثمانية وإنما هي كل صفة يصح إثباتها لله سبحانه ولا يجوز سلبها وإثبات نقيضها له عز وجل، فكما تقول أنه عالم ولا تقول أنه جاهل وأنه قادر ولا تقول أنه عاجز وأنه حي ولا تقول أنه ميت وأمثالها من الصفات الكمالية التي تثبتها ولا يصح إثبات ضدها ونقيضها ولتكن على بصيرة على أنها تثبت للذات عز وجل لا من جهة ملاحظة الخصوصيات والاعتبارات بل تثبت باعتبار أن كل واحد منها عين الآخر، لا من جهة أن هناك امتياز ليكون أحدهما عين الآخر ولا أن هذه الصفات الإضافية الرابطية المتعلقة عينه تعالى وإلا لزم أن يكون الله عز وجل أمرا إضافيا نسبيا وقد أجمع المسلمون على بطلانه، ولا أن مدلول قولك الله عالم أن هذه القضية (الحملية) التي فيها موضوع ومحمول ونسبة حكمية وحكم ثابت في ذات الله عز وجل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولا أن هذا الحمل من باب الحمل المتعارف كما ذكرنا ولا الحمل الغير المتعارف كما في حمل الشيء على نفسه فإن في الحمل لا بد فيه من المغايرة ولوبالفرض والاعتبار، ولا يصح الحمل من غير فرض المغايرة مطلقا سواء كان مفيدا أم لا، ولا أن مفهوم هذه الصفات متغايرة والمصداق واحد فإن هذا القول مزخرف فاسد، فإن المفهوم إذا كان مخالفا للمصداق لم يكن ذلك مصداقاً له فإذن فالقدرة المتعلقة بالمقدور والسمع المتعلق بالمسموع والبصر المتعلق بالمبصر والعلم المتعلق بالمعلوم ليس عين الذات وإنما هو ظهورات أفعاله وشئونات آثاره إذ لا ربط للأشياء مع الذات القديمة وإلا لكانت الذات حادثة أو الأشياء قديمة، لأن المنتسبين مهما لم يكونا في رتبة واحدة استحالت النسبة لأنها

تعدم في رتبة إحديهما ولا تزال كذلك فأين الارتباط وذلك ظاهر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومثال ما ذكرنا هو أن السراج حقيقة واحدة ثابتة مستقلة نوره عين ذاته وهو ذاته بلا فرض المغايرة، فإذا لم يكن جسم كثيف كان السراج نورا ولا مستنيرا لأن وجود النور في السراج لا يشترط أن يكون هنا مستنيرا، فإذا وجد المستنير وقع نور السراج عليه ولا شك أن هذا الواقع على المستنير من جدار وغيره ليس عين النور الذي هو حقيقة ذات السراج وإنما هو أثره، لكنه مثاله وصفته للمستنير وذات السراج منزه عن الجدار وعن النور الواقع عليه، وهذا معنى ما قال إمامنا ومولانا جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام على ما في الكافي (كان ربنا عز وجل والعلم ذاته ولا معلوم والقدرة ذاته ولا مقدور والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والقدرة على المقدور)[1] وهذا معنى بعض الحديث ولا شك أن هذا الواقع ليس هو عين الذات وإلا لاختلفت حالتاه.

الصفات الفعلية

والقسم الآخر هو أن الآثار تنبي عن الصفات الكمالية المنسوبة إلى المبدأ لكن فيها اقتران وارتباط ونسبة والاقتران والنسبة والارتباط تستلزم الكثرة فحيث امتنعت الكثرات بكل الجهات في الذات البحت

---

(١) بحار الانوار ج٤ ص٧١أج٥٤ ص١٦١ -الكافي ج١ ص١٠٧ -التوحيد ١٣٩

البات تعين أن تكون تلك الصفات للفعل على أنه تثبت مرة وتنفى أخرى وتثبت الضد أخرى وما هذا شأنه يمتنع أن يكون في الذات القديمة الأزلية فتكون تلك الصفات ثابتة للفعل وذلك كالمشية والإرادة كما تقول سأفعل كذا إنشاء الله وإن أراد الله وقولك هذا دليل على أنه لم يشأ ولم يرد كما قال ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1] ، ولم يرد الله أن يطهر قلوبهم للتقوى، وقد قال مولانا الرضا عليه السلام كما في التوحيد إن المشية والإرادة من صفات الأفعال فمن زعم أن الله لم يزل شائيا) مريدا فليس بموحد)[2] ، وكذلك سائر الصفات كالخالق والرازق والمحيي والمميت وأمثالها مما تثبت وتنفى وهذه الصفات كلها للفعل، ولكن لما كان الفعل مضمحلا عند الذات وفانيا باطلا لديها ما نسبت إليه إلا في مقام العلم وإلا فهي منسوبة إلى الله سبحانه لكن على المعنى الذي ذكرنا وأوضحنا.

أقسام الصفات

ثم اعلم أن الصفات على ثلاثة أقسام:

أحدها صفات القدس وهي صفات لا تعتبر في مفهومها الانتساب إلى الغير والارتباط بالآخر كالقدوس والسبحان والعزيز وأمثال ذلك.

وثانيها صفات الإضافة وهي التي تعتبر في مفهومها النسبة والارتباط

---

(١) التكوير ٢٩

(٢) مستدرك سفينة البحار ج٤ ص٢٤٦

والإضافة إلى الغير كالعلم والقدرة والسمع والبصر وأمثالها.

وثالثها صفات الخلق وهي التي لها اقتران بالخلق وتعلق كوني وجودي به كالخالق والرازق والمحيي والمميت وأمثالها.

فصفات القدس هي ذات الله عز وجل على المعنى الذي ذكرنا، وصفات الإضافة مهما اعتبرت فيها النسبة والإضافة فهي من صفات الأفعال كالعلم المتعلق والقدرة المتعلقة وأمثالها، وإذا قطعت النظر عن النسبة والإضافة فهي عين الذات كالعلم إذ لا معلوم والقدرة إذ لا مقدور والسمع إذ لا مسموع والبصر إذ لا مبصر وغير ذلك فافهم، وأما صفات الخلق فهي حادثة خارجة عن حقيقة الذات البحت سبحانه وتعالى وإنما هي أسماء في رتبة الفعل والخلق والأثر، والفعل وصفاته حادثة والذات وصفاتها قديمة تدبر فيما ذكرت طويلا فتجد صحوا بلا غبار وشربا بلا أكدار وفقك الله لما يحب ويرضى.

معنى الإسم

قال: سلمه الله تعالى المسألة الثالثة ما أسماء الله وأقسامها.

أقول: قد قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام (الاسم ما أنبأ عن المسمى)[1] الحديث، والصفة هي الاسم كما قال مولانا الرضا عليه السلام (صفة لموصوف)[2] ، فكل صفة اسم وبالعكس، والاسم هو المنبئ عن

---

(١) بحار الانوار ج٤٠ ص١٦٢ -الفصول المختارة ص٩١ -المناقب ج٢ ص٤٧

(٢) الكافي ج١ ص١١٣.

الـشيء مطلقـا ذاتـا كان أو صفة لفظـا كان أو معنى، فعلى هـذا يتضح لك أن الأسـماء على قسـمين أسماء لفظية وأسـماء معنوية لأن الإنباء كما يكون باللفظ يكون بالمعنى، فنور الشمس اسم لها لدلالته عليها، والدخان اسم للنـار كذلك، ولما كان الخلق كلهم أجمعون بما هم فيه من ذات وصفة دالة عـلى الله سـبحانه بأكمل الدلالة وأوضحها بحيـث لا دلالة أعظم منها إذ ما عرف الله سـبحانه إلا بظهوره في الخلق أي بإيجاده لهم وإحداثه إياهم، كانـت الموجودات كلها أسـماء لله عز وجل وصفات لـه فعلية فلا تجد إلا ذاتا واحدة وهو الواجب القديم تعالى وتقدس وكلما سواه أسماؤه وصفاته كـما قال الرضا عليه السـلام (ليش شيء إلا الله وأسـمائه وصفاته-) وهذا أعـلى معـاني التوحيـد الصفـاتي بأن لا يـرى الموحـد ذاتا لهـا صفات غير الله حتـى يكـون بذلك شركا بـل لا يـرى إلا ذاتا واحدة وكلما سـواه من الذوات والصفات والقرانات والإضافات كلها صفات وأسماء دالة عليه ومنبئة عنه فكما تدل الأسماء اللفظية على الله سبحانه كالاسم الله والرازق وأمثالهـما مـع أنها مخلوقة كذلـك، كل حقايـق المخلوقات كلهـا دالة على وجوده سبحانه وعلمه وقدرته وحياته وسمعه فتكون أسماء له تعالى ولذا قالوا عليهم السـلام: (نحن الأسـماء الحسـنى التي أمركـم الله أن تدعوه بها-) وفي زيارة أمير المؤمنين عليه السـلام : (السلام على اسم الله الرضي ونـور وجهه المضيء)[1]، إلا أن الأشـياء لما كانت مختلفة في العلو والسـفل والشرافـة والكثافـة والنورانيـة والظلمانيـة والإجمال والتفصيل والسـعة

---

(١) بحار الانوار ج٩٧ ص٢٤٥-فرحة الغري ٤٦

والإحاطة والضيق وأمثالها من الأحوال كانت مختلفة أيضا في الدلالة على الله سبحانه وعظمته وجلاله إذ لا شك أن الصنع كلما كان أتقن وأحكم كان ظهور جلالة الصانع وكماله فيه أعظم وأكثر فكلما يكون الخلق أوسع إحاطة وأعظم نورا كانت الدلالة أتم فتختلف في الاسمية وإليه الإشارة في دعاء السحر في شهر رمضان (اللهم إني أسئلك من أسمائك بأكبرها وكل أسمائك كبيرة)[1].

آل محمد أكبر الأسماء وأعظمها

ولما كان محمد وآله صلى الله عليهم أشرف الخلق وأفضل الخلق وأصل الخلق ومبدأ الخلق فيكونون هم أشرف الأسماء وأعظمها وأجلها وأكبرها فهم المثل الأعلى والدعوة الحسنى وإليهم الإشارة بها في الدعاء بعد كل ركعتين من نافلة الليل (وبأسمائك الحسنى وأمثالك العليا ونعمك التي لا تحصى وبأكرم أسمائك عليك وأحبها إليك وأقربها منك وسيلة وأشرفها عندك منزلة وأجزلها لديك ثوابا وأسرعها في الأمور إجابة وباسمك المكنون المخزون الأكبر الأعز الأجل الذي تحبه وتهواه)[2] الدعاء، فالأسماء الحسنى هم الأئمة عليهم السلام من الأسماء المعنوية، وأكبر

---

(١) بحار الانوار ج٩٤ص٣٦٩أج٩٥ص٩٣-الاقبال ٣٣-البلد الامين ٢٦٣مصباح الكفعمي ٦٩٢-مصباح المتهجد ٧٥٩

(٢) التهذيب ج٣ص١٢٤-بحار الانوار ج٩٤ص٢٤٦-ج٩٥ص١٧٨-الاقبال ٢٥٣-البلد الامين ٢٣٣-العدد القوية ١٦٢-مصباح الكفعمي ٥٠-مصباح المتهجد ١٣٩-مفتاح الفلاح ٣٠٢-مهج الدعوات ص٢٤٤

الأسماء وأعظمها هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، والاسم المكنون المخزون هو رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ملاحظة ما ورد أنهم عليهم السلام الأسماء الحسنى.

ولا تستغرب من ذلك فكما أن الواضع سبحانه وتعالى ألف هذه الحروف أي الأسماء من الحروف الهجائية الثمانية والعشرون وركبها وربط بعضها ببعض حتى حصلت من تلك الهيئة التأليفية الدلالة على الله سبحانه وتعالى وصفاته وأحواله ولا شك أن الحروف أضعف تحققا وأقل دلالة من الذوات فكذلك الحق سبحانه ألف وركب حقيقة الخلق وماهيتهم وكينونتهم وربط بعضها ببعض حتى حصلت من ذلك التأليف الخاص المحكم المتقن الدلالة على التوحيد وعلى سائر المراتب والمقامات الحقية الواجبية، وتلك الخلقة والهيئة هي الفطرة المذكورة في أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام كما في قولهم :(كل مولود ولد على الفطرة ولكن أبواه يهودانه وينصرانه)[1] وفي بعض الروايات ويمجسانه وفي القرآن فطرة الله التي فطر الناس عليها وقد عقد الصدوق (رحمه الله) بابا في كتابه التوحيد أن الفطرة هي التوحيد، فمعنى أن الله خلقهم على الفطرة أنه تعالى خلقهم على هيئة تأليف وتركيب تدل تلك الهيئة على توحيد الله سبحانه كما دلت هيئة تلك الكلمات والألفاظ مثل الحي القيوم وأمثالها على كماله تعالى وتوحيده من غير فرق.

---

(١) الكافي ج٢ ص١٢ -بحار الانوار ج٣ ص٢٧٩ -ج٣ ص٢٨١ -الاقبال ٥٣٢ -تصحيح الاعتقاد ٦١ -شرح نهج البلاغة ج٤ ص١١٤ -عدة العوالي ٣٣٢ -عوالي اللالي ج١ ص٣٥ -متشابه القران ج١ ص١٥١

موضوع الأسماء الإلهية

قال سلمه الله تعالى: المسألة الرابعة في أن الموضوع له للأسماء الإلهية ما هو ؟

أقول: إن الأسماء اللفظية لا شك أنها حادثة، فقبل حدوثها هل كان ذات الله سبحانه مسمى بهذه الأسماء أم لا فإن قلت بلى فهو يحتمل وجهين أحدهما أنه كان مسمى بها بالفعل، والثاني أنه لم يكن مسمى بالفعل ولكن من شأنه ذلك، وهو أيضا مسمى بالذكر والصلوح، ولا شك في امتناع اختيار الوجه الأول لأنه كذب صريح وكذلك الثاني لأنه يستلزم أن لا يكون كلما لذات الله سبحانه فعليا حاضرا عنده، فتكون له حالة الانتظار لأنه قبل الاسم يصلح ويمكن أن يكون مسمى بعد وضع الاسم له فبعد ما وضع يكون ذلك الصلوح والإمكان بالفعل، وفرض الإمكان في الوجوب مما يأباه أولوا الأحلام والعقول فوجب أن لا يكون مسمى قبل وضع الاسم له، وقد اتفقت آراء العقلاء وأهل اللغة على أن المشتق لا يصدق قبل تحقق المبدأ ووجوده وإن اختلفوا في اشتراط بقائه عند الصدق وعدمه، ولذا قالوا أن اسم الفاعل والمفعول بمعنى المضارع والمستقبل مجاز، ولو صح ذلك لجاز أن يقال لمن لا يزني الزاني ومن لم يسرق ولا يسرق السارق ومن لم يظلم الظالم ومن لم يصل المصلي، وعلى هذا ينسد باب الكذب وهذا مما يأباه كل ذي عقل سليم وطبع مستقيم، وعلى هذا فلم يكن الله مسمى قبل وضع الاسم وحدوثه.

فإذا قلت أنه تعالى بعد ما وضع له الاسم كان مسمى في ذاته، فثبت

له حالتان حالة لم يكن فيها مسمى وهي قبل الوضع وحالة كان مسمى وهي بعد الوضع، واختلاف الحالات دليل الحدوث قال أمير المؤمنين عليه السلام (لم تسبق له حال حالا ليكون أولا قبل أن يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا)[1] ، ومع ذلك يلزم أن يكون الأثر مؤثرا في ذات الله عز وجل فإن تغيير الاسم ووضعه ليس لمجرد اللفظ وحده وإنما اختلاف الأسماء يدل على حصول تغير في الذات المسمى.

فإذا قلت أن ذات الله سبحانه لم يكن مسمى قبل الوضع ثم كان مسمى بعد الوضع، فإن قلت أن حالته الأولى هي حالته الثانية بعينها من غير فرق، قلت إذن فلا معنى لنفي كونه مسميا قبل الاسم وإثباته بعده فيجب إما أن يكون إثبات مطلق أونفي كذلك، فإن قلت بالفرق بين الحالتين، قلت ذلك لا يكون إلا بتجديد أمر في الذات حتى يحصل الفرق وذلك الأمر ليس بقديم وإلا لم يتخلف فيكون حادثا، فكان ذات الله محلا للحوادث ثم إن الحادث لا بد له من علة وعلة ذلك الأمر لا يصح أن تكون هي الذات من حيث هي وإلا لم يتأخر إذ لا مانع له مع وجود المقتضى فيكون أمرا خارجا عن حقيقة الذات يكون مقتضيا لذلك التغير في الذات حتى صار مقتضيا لتغيير الاسم وتجديده، ومرادي بهذا الاسم هو كونه مسمى وليس هنا أمر يقتضي ذلك، وإلا نفس وضع الاسم وإحداث اللفظ الخاص على الهيئة الخاصة، فكان الأثر مؤثرا في ذات المؤثر وهو في البطلان بمكان.

---

(١) نهج البلاغة ج١ ص١١٢

فبطل أن يكون الاسم اللفظي موضوعا للذات الأقدس سبحانه وتعالى أي اسم كان من غير استثناء، وأيضا قد ثبت عندنا وعند العارفين كما نبين إنشاء الله تعالى أن بين اللفظ والمعنى مناسبة ذاتية، يعني أن بين كل لفظ ومعناه نسبة بها تخصص ذلك اللفظ لذلك المعنى دون غيره وهي علة الوضع الخاص، فلوفرض وضع الاسم للذات الأقدس لزم مناسبة القديم مع الممكن وذلك باطل إذ لا يناسب القديم إلا الوحدة المحضة والغنى المطلق الغير المشوب بشيء من الفقر ولا يناسب الممكن إلا الكثرة المحضة ولذا اجمعوا واتفقوا على أن كل ممكن زوج تركيبي والفقر، المطلق كما قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[1]، ولا منزلة بين الفقر المطلق والغنى المطلق وإلا لكان منزلة بين الواجب والممكن وذلك يستلزم أن لا يكون الشيء مخلوقا بذاته حين كونه مخلوقا بذاته والضرورة قاضية ببطلانه، فإذا بطلت النسبة بطل وضع الاسم للذات الأقدس سبحانه وتعالى، وأيضا قد اتفق العقلاء على أن الأكوان الأربعة التي هي الحركة والسكون والاقتران والافتراق علامة الحدوث ودلت عليه الأدلة العقلية والنقلية.

ولا شك أن بين الموضوع والموضوع له ارتباط واقتران ولولا ذلك لامتنعت الدلالة وقد اتفقوا على هذا الارتباط الذي هو الاقتران وإن اختلفوا في أن هذا الارتباط إنما حصل بمجرد وضع الواضع أوللمناسبة الواقعية، فإذا كان الموضوع له هو ذات الله سبحانه لزم اقتران القديم

---

(١) فاطر ١٥

بالحادث قال أمير المؤمنين عليه السلام: (وشهادة الاقتران بالحدث الممتنع من الأزل الممتنع من الحدث)[1]، فإذا بطل الاقتران بطل الوضع لأن الوضع ليس إلا جعل الواضع للموضوع له قرينا مع الموضوع وبالعكس حتى تؤثر تلك المقارنة، الدلالة على الموضوع له وذلك ظاهر مع أن الاسم صفة للمسمى، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (لشهادة كل الصفة والموصوف بالاقتران)[2] إلخ وأيضا قد اتفقت كلمتهم أن وضع الأسماء والألفاظ إنما هي لأجل المعرفة والإفادة والاستفادة، ولا شك أن المعرفة لا تتعلق بالذات البحت من حيث هي هي وإنما تتعلق بجهة ظهوراته في آثاره وأفعاله وساير أحواله فلا فائدة إذن للوضع للذات إذ امتنعت معرفتها وإفادتها واستفادتها.

فإن قلت فعلى هذا يكون الموضوع له هو الذات من جهة ظهورها في الاعتبار.

قلت فحينئذ فالموضوع له بسيط أومركب، ومعنى البسيط أن يكون الموضوع له هو الذات وحدها مع قطع النظر عن الظهور فيكون الموضوع له هو الذات من حيث هو هووذلك خلاف المفروض، أومعنى المركب أن تكون الذات مع ملاحظة الظهور فالمجموع المركب هو الموضوع له، وحينئذ فهل هذا الظهور الذي جعلتموه مع الذات في رتبة واحدة وجزءا

---

(١) بحار الانوار ج٤ص٢٢٧-ج٥٤ص٤٣-الاحتجاج ج٢ص٣٩٨-تحف العقول ٦١-التوحيد٤٣-عيون اخبار ج١ص١٤٩

(٢) بحار الانوار ج٤ص٢٢٧-ج٥٤ص٤٣-الاحتجاج ج٢ص٣٩٨-تحف العقول ٦١-التوحيد٤٣-عيون اخبار ج١ص١٤٩

آخـر للموضوع له هو عـين الذات أم غيره فإن كان هـو عين الذات بطل التركيـب ورجع الـكلام إلى الأول، وإن كان غير الـذات فهل هو حادث أم قديم فإن كان قديما تعدد القدماء وقد بينا في المسـألة الأولى ما يدل على بطلانـه، وإن كان حادثـا فيلزم تركب الشيء من الحـادث والقديم وذلك باطـل لأن الحادث معدوم في رتبة القديم فكيف يجتمع معه في رتبته حتى يكـون المتحصل من الأمرين أمرا وحدانيـا وهذا لا يمكن إلا عند اجتماع الأمريـن في صقـع واحد حتى يتحقق بينهما النسـبة والارتبـاط، فإذا عدم أحدهما في رتبة الآخر تبطل النسـبة فيفقد التركيـب ويلزم أيضا أن يكون ذات الله حينئذ مركبا ضرورة أن التركيب لا يتحقق إلا بأمور أربعة ذات الأجزاء ونسـبة أحدهمـا إلى الآخر ولذا قال تعالى ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[1] ولم يقل فردين والزوجان أربعة.

فإذا ثبت بالدليل القطعي أن ذات الله سبحانه لا يصح أن يكون لها من حيث هي اسـم مطلقا سـواء كان لفظيا أومعنويا ظهر لك أن الموضوع له الأسـماء هي الظهورات الخاصـة المتعلقة بالتعلقات، لأن الاسـم للظاهر وليس إلا بالظهور وليس الظهور إلا نفس الأمر.

والظهـور على قسـمين ظهور عام وظهـور خاص، فالعام هو المسـمى بالاسـم العام، والخاص هو المسـمى بالاسـم الخاص، فزيد اسم للظهور العام الكلي السـاري في كل الظهورات والأحوال، فإذا ظهر بالكتابة مثلا قلت كاتب وإذا ظهر بالقيام قلت قائم وإذا ظهر بالقعود قلت قاعد وهكذا

(١) الذاريات ٤٩

سائر الصفات والأسماء وكل ذلك إنما حصل حين الظهور والتعلق فقبل الظهور والتعلق انقطع الاسم والرسم والدلالة التي هي مفاد الاسم إنما هي حين الظهور والتعلق كما هو المعلوم البين، فالقيام حينئذ اسم لظهور زيد بالقيام وليس اسما لذاته وإلا لم يكن القائم صفة بل كان مسمى والقيام صفة، ولا شك أن القيام ليس صفة لزيد وإلا لصح التوصيف به ولا يجوز أن تقول زيد قيام وإنما يقال زيد قائم فالقائم هو مثال زيد وظهوره بالقيام لا ذات زيد، نعم لا فرق بينه وبين زيد في التعريف والتعرف والمعرفة فمن عرف القيام عرف زيدا ولا شك أن حقيقة القائم صفة زيد وظهوره لا ذاته ولذا قال النحاة في المشتقات أنها اسم الفاعل واسم المفعول ولم يقولوا اسم الذات فإن الفاعل ليس في رتبة الذات لأنه ليس من الصفات الذاتية وإنما هو في رتبة الفعل من حيث ظهور الذات لا نفس الذات، ولما كان الظهور ليس ذاتا كان مقامه مقام الفعل والخلق إذ لا واسطة بين الذات والفعل، ولذا ترى الأئمة عليهم السلام يعبرون عن مثل هذه الأسماء بأسماء الأفعال لأن الظهور منحصر في رتبة الفعل لكن لا من حيث هو فعل بل من حيث الدلالة على الذات، ولذا ترى اسم الفاعل كالضارب لا يدل إلا على الذات مع أن الفعل عامل فيه ومقوم له ومقدم عليه وليس هذا العمل والتقدم لمجرد اللفظ وحده بل باعتبار مناسبات حقيقية وإشارات غيبية معنوية من نوع ما أشرنا إليه.

فالذي وضعت الأسماء الإلهية كلها له إنما هو تلك الظهورات المتحققة في رتبة الفعل وتلك الظهورات هي المقامات والعلامات التي لا تعطيل

لها في كل مكان كما في دعاء رجب عن الحجة عليه السلام : (وبمقاماتك وعلاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك)[1].

فإن قلت فعلى هذا كانت الأسماء كلها للأفعال فما معنى الصفات الذاتية إذن.

قلت الفرق حينئذ فيما يراد من الألفاظ والأسماء لأن الذات البحت القديمة سبحانه وتعالى لما كانت لا تدرك لذاتها فإنما تتوجه إليها بآياتها وعلاماتها فتلتفت إليها مع قطع النظر عن تلك الآيات في نفسها كما أني ما إذا أردت أن أخاطبك أقول يا قائم مثلا ولا أريد حين الخطاب ظهورك بالقيام ولا يخطر ببالي ذلك أبدا وإنما أتوجه إلى ذاتك وأقصدها، وإنما جعلت هذه اللفظة الدالة بالوضع على صفة من صفاتك وصلة ودليلا عليك وحدك إذ لا يمكنني الوصول إلى ذاتك من حيث هي فالمقصود من قولي يا قائم إنما هو الذات وحدها وإن لم يكن اللفظ موضوعا لها، ولكن لما كان موضوعا للصفة وهي باطلة مضمحلة عند ظهور الذات فألتفت باللفظ وبالاسم إلى الذات التي قد غيبت كل الصفات من غير ملاحظتي لمدلول اللفظ الذي هو تلك الصفة كما أنك حين ما تنظر إلى المرآة تلتفت إلى المقابل الخارجي ولا تلتفت إلى المرآة ولا إلى خصوص الصورة بحدودها

(١) بحار الانوار ج٩٥ص٣٩٢-الاقبال ٦٤٦-البلد الامين ١٧٩-مصباح الكفعمي ٥٢٩-مصباح المتهجد ٨٠٣

وهيئتها واعوجاجها واستقامتها ولا يخطر ببالك حين الاستدلال على المقابل هذه الأمور أبدا مع أنك لا تنظر إلا إلى المرآة ولا تجد سواها ولا تصل إلى غيرها ولكن من جهة أنها صفة للغير ومثاله فغيب ذلك الغير بظهوره إياها فالناظر حين ظهور ذلك الغير وإرادة مشاهدته لا يلتفت إلى نفس المرآة بوجه من الوجوه، فكذلك القائم لا يدل إلى على صفة زيد وظهوره بالقيام ولكن لما كانت الصفة مضمحلة عند الذات وإنما هي سبيل وآية ودليل عليها ما التفت إليها مع قطع النظر عن خصوص مدلول اللفظ الذي هو الصفة فافهم هذا البيان المردد بالفهم المسدد.

فإذا نظرنا في الأسماء والألفاظ بهذا النظر قلت أنها الأسماء الذاتية وصفاتها مع قطع النظر عن الخصوصيات الأسمائية والصفاتية كما ذكرنا في المسألة المتقدمة.

فإن قلت فعلى هذا كانت الأسماء كلها ذاتية فما معنى تقسيمها إلى الذاتية والفعلية.

قلت نعم إذا نظرت في الأسماء كلها وما قصدت منها خصوصيات التعلقات والإضافات والقرانات بل جعلتها آية ودليلا لمعرفة الذات والتوجه إليها من طريق الأسماء والصفات كما قال عليه السلام: (وأسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم وذاته إحقاقه وكنهه تفريق بينه وبين خلقه)[1] الحديث رواه الصدوق في التوحيد والعيون، وأما التقسيم فذلك من جهة الملاحظات إذ قد تطلق ويراد بها خصوص المدلولات الوضعية في مقام

(١) بحار الانوار ج٤ ص٢٢٧-الاحتجاج ج٢ ص٣٩٨-التوحيد٣٤-عيون الاخبار ج١ ص١٤٩

الإضافة والارتباط والتعلق، فحينئذ هي الصفات الفعلية الحادثة المتحققة في مقام الفعل والإرادة وليست هي من الصفات الذاتية كما إذا قلت عالم وأردت به العلم الإضافي النسبي المتعلق بالأشياء المنطبقة عليها ضرورة وجوب تطابق العلم مع المعلوم، وكذلك القدرة المتعلقة الواقعة فإن ذلك يستحيل أن يجعل حينئذ من الصفات الذاتية لأن التعلق والاقتران من صفات الحدوث وسمات الممكن فلا يجري عليه ما هو أجراه، فإذا قطعت النظر عن الاقتران والتعلق والإرادة والارتباط وتوجهت إلى صرف الذات مع قطع النظر عن التعلقات فحينئذ يقال أنها اسم للذات أي هي المقصودة منها وإن لم تكن موضوعة بإزائها كما ذكرت لك من قولك يا قائم وإرادتك للذات مع قطع النظر عن الهيئة الخاصة التي هي الصفة وهي الموضوع له اللفظ، فعلى ما ذكرنا لك تبين أن المسمى يطلق على معنيين مرة يطلق ويراد منه المقصود والمراد من الاسم لا الموضوع له والمدلول عليه وهذا يطلق عليه سبحانه كما في الحديث: (من عبد الاسم دون المسمى فقد كفر ولم يعبد شيئا ومن عبد المسمى والاسم فقد أشرك ومن عبد المسمى دون الاسم)وفي رواية (بإيقاع الأسماء عليه فذاك التوحيد)[1]، فالمسمى في هذا المقام يراد به ما يقصد من الاسم والمراد منه

(١) في الكافي ج ١ ص ٨٧ : علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى بن عبيد ، عن الحسن بن محبوب ، عن ابن رئاب وعن غير واحد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من عبد الله بالتوهم فقد كفر (١) ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، ومن عبد المعنى بإيقاع الاسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حقا . وفي حديث آخر : اولئك هم المؤمنون حقا .
علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن هشام بن الحكم أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء

وهوالله سبحانه إذ لا تصح العبادة إلا لـه تعالى وليس المراد منه الموضوع له اللفظ فإن القول به كفر وزندقة كما سمعت، ومرة يطلق المسمى ويراد به المدلول والموضوع له وهذا لا يصح أن يطلق على الله سبحانه ولذا نفاه الإمام عليه السلام كما في الكافي إلى أن قال عليه السلام: (إن الله ليس المسمى) الحديث، أي بمقترن وموضوع له وهذا أقصى ما يعبر عنه في هذا المقام في ظاهر المقال.

وأما مقامات الباطن وشرح حقيقة الأحوال من جهة الحقيقة فذلك مما يجب كتمانه إلا عن أهله، وما هذا شأنه فلا يسطر في الكتاب والدفاتر وإنما يخزن في الضماير فلو شافهتني وفقك الله لمراضيه بعدما أتقنت ما زبرت في هذه الكلمات ربما تحظى بالنصيب الأوفى من الرقيب والمعلى والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى.

ظهور آيات الله في أئمة الهدى عليهم

قال سلمه الله تعالى: المسألة الخامسة ما معنى ظهور آيات الله تبارك وتعالى في أئمة الهدى عليهم الصلاة والسلام؟.

الله واشتقاقها : الله مما هو مشتق ؟ قال : فقال لي : يا هشام الله مشتق من إله والاله يقتضي مألوها والاسم غير المسمى ، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئا ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين ، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد أفهمت يا هشام ؟ قال : فقلت : زدني قال : إن لله تسعة وتسعين اسما فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلها ولكن الله معنى يدل عليه بهذه الاسماء وكلها غيره ، يا هشام الخبز اسم للمأكول والماء اسم للمشروب والثوب اسم للملبوس والنار اسم للمحرق أفهمت يا هشام فهما تدفع به وتناضل به أعداء نا والمتخذين مع الله عزوجل غيره ؟ قلت : نعم ، قال : فقال : نفعك الله به وثبتك يا هشام ، قال هشام فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا .

أقول : اعلم أن الله عز وجل لما كان صمدا أزليا لا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه شيء ولا يحيط به شيء ولما كان الممكن في مقام الإمكان والفقر لا يصل إلى القديم سبحانه وهو لتعالي ذاته المقدسة لا ينزل إلى الإمكان امتنع إدراك معرفة الذات سبحانه لأن الشيء لا يتجاوز ما وراء مبدئه وذاته لأنه هناك ليس بشيء فكل أحواله من إدراكاته ومدركاته وصفاته وتوصيفاته كلها في مقام ذاته وما تحتها من المقامات والمراتب من الأحكام التفصيلية ولما كانت الغاية في إيجاد الأكوان والأعيان هي معرفته تعالى كما قال في الحديث القدسي: (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف)[1] وقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾[2]، والعبادة ثمرة المعرفة التي هي ثمرة المحبة أوبالعكس وكلاهما يصح وقد عرفت استحالة معرفة الذات الأقدس وجب عليه سبحانه أن يعرف نفسه للخلق ويصف لهم توحيده وأسماءه وصفاته و ما أراد منهم مما يرقيهم إلى غاياتهم ومراتبهم المقصودة من إيجادهم، وإلا لزم أن يكون الخلق قد خلق عبثا وترك سدى فلا تتم حكمة الإيجاد وهوسبحانه حكيم عليم، فوصف سبحانه نفسه للخلق وعرفها إياهم ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[3] (بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك) وقال أمير المؤمنين عليه السلام في الدعاء (يا من دل على ذاته بذاته)[4] ولما

(١) بحار الانوار ج٨٤ص١٩٨أج٨٤ص٣٤٤

(٢) الذاريات ٥٦

(٣) النحل. ٩

(٤) بحار الانوار ج٨٤ص٣٣٩أج٩١ص٢٤٢

كان لله الحجة البالغة فوصف الله سبحانه يجب أن يكون أوضح وأجلى ما يمكن في الإيجاد في عالم الإمكان لئلا يكون للناس على الله حجة وليجري سبحانه وتعالى فعله على أكمل الاستقامة.

والوصف والبيان ينحصر في أمرين: أحدهما الوصف الحالي الشهودي العياني

وثانيهما الوصف المقالي الحاصل بالألفاظ والعبارات والوصف الحالي هو الوصف بالأمثال والصفات لا بالمقال والعبارات ولا يستريب عاقل أن الوصف الحالي أجلى وأوضح من الوصف المقالي فيجب أن يصف الله سبحانه توحيده وصفاته وأسماءه وخلقه لخلقه بالتوصيف الحالي أي يخلق لهم أدلتها وأمثلتها وصفاتها ولما كان الوصف كلما يكون أقرب إلى من وصف له لئلا يحول بينهما حائل أحسن وأولى وليس شيء أقرب إلى الشيء من نفسه إليه، فجعل سبحانه أنفس الخلايق وحقايقهم صفة لجميع ما أراد منهم أن يعرفوه فحقايق الخلايق صفة توحيده وأسمائه وأفعاله وأحكامه وجميع ما يريد منهم بحيث إذا عرفوا أنفسهم على كمال ما ينبغي فقد عرفوا ربهم لأنه سبحانه تعرف لهم بهم وتجلى لهم بهم فحقيقتهم آية معرفة الله سبحانه ودليل توحيده وهو قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وآله: (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه)[1] وقول أمير المؤمنين عليه السلام: (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[2] وقول مولانا الصادق عليه السلام:

---

(١) جامع الاخبار ٤-روضة الواعضين ج١ ص٢٠-متشابه القران ج١ ص٤٤

(٢) بحار الانوار ج٢ ص٣٢ ج٥٧ ص٣٢٤ ج٥٨ ص٩٠-شرح نهج البلاغة ج٢٠ ص٢٩٢-الصراط المستقيم

(العبودية جوهـرة كنهها الربوبية فما فقد في العبودية وجد في الربوبية وما خفـي في الربوبية أصيب في العبودية قال الله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[1] الحديـث، وتلـك الخلقة عـلى النمط المذكور هي الفطرة التي فطـر الناس عليها وقد قالـوا عليهم السـلام: (كل مولـود ولد على الفطـرة ولكن أبـواه يهودانه وينصرانـه)[2] وقد عقد الصدوق (رحمة الله عليه) بابا في التوحيد أن المراد مـن الفطرة هـي التوحيد وأورد أحاديث كثيرة عديـدة على ذلك وذكرها يؤدي إلى التطويل ومن أرادها فليطلب ذلك الكتاب المستطاب.

فإذا فهمت ما ذكرنا علمت أن كل شيء قد فطر على التوحيد، ففي كل شيء حينئذ ظهور آيات الله سبحانه كما قال مولانا الحسين عليه السلام في دعـاء عرفة عـلى ما رواه في الإقبال والمصباح وغيرهمـا من الكتب المعتبرة (تعرفـت إلي في كل شيء فرأيتـك ظاهـرا في كل شيء فأنت الظاهر في كل شيء بـكل شيء) وأمـا أئمتنا الطاهرون وسـاداتنا المعصومون سـلام الله عليهـم فهم أعلى مظاهـر تلك الآيات وأعلى تلك الأمثـال بل هم مظاهر تلك الآيات والعلامات وسائر الخلق مظاهرهم، فمظاهر المظاهر مظاهر لأن الله سـبحانه خلقهم في حجاب العظمة والقدس ولم يكن هناك خلق فقـد تحملـوا عن الله سـبحانه في العـالم الأول جميع المعـارف والظهورات

ج١ ص١٥٦ -عوالي الالي ج٤ ص١٠٢ -متشابه القران ج١ ص٤٤ -مصباح الشريعة ١٣

(١) مصباح الشريعة ٧

(٢) بحار الانوار ج٣٩ ص٣٢٧ -تصحيح الاعتقاد ٦١ -شرح نهج البلاغة ج٤ ص١١٤ -عدة الداعي ٣٣٢- عوالي اللالي ج١ ص٣٥

ومراتب التوحيد فحكوا المثال على الحقيقة كما قال تعالى: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)[1] ، والعبد المؤمن هو رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك حيث استخلصه الله في القدم على سائر الأمم وانتجبه آمرا وناهيا وأقامه مقامه في سائر عالمه في الأداء إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار كما قاله علي عليه السلام على ما رواه الشيخ في المصباح في خطبة علي عليه السلام يوم الغدير ويوم الجمعة، فلما خلق الله الخلق من شعاع أنوارهم وظهورات آثارهم فوصل إلى الخلق بواسطة ذلك الشعاع نور ما عندهم عليهم السلام من سر التوحيد والمعرفة والأسماء والصفات فما عندهم عليهم السلام الظهور الأولى الأصلي والتوحيد الحقيقي الامكاني وما عند غيرهم ظهور الظهور ومثل المثل بضم الميم والثاء المثلثة بل هم آيات الله سبحانه فيساير الخلق لأن ما سواهم من فاضل شعاعهم فلا يحكون إلا نورهم عليهم السلام ولا يصلون في أعلى مقاماتهم إلا إلى ظهورهم كالشعاع فإنه لا حظ له إلا معرفة نور السراج فيجعله دليلا للنار الموحدة للسراج، فالنار الغايبة في السراج مثال فيض الله سبحانه فيهم عليهم السلام، والسراج مثال حقيقتهم في هذا المقام، والأشعة مثال سائر الخلق من المؤمنين، فإذا تأملت وجدت أن الشعاع ما يصل إلا إلى نور السراج لا إلى ذات السراج فلا يصل إلى النار بالطريق الأولى والسراج لا يصل إلى حقيقة النار أبدا لكن علمه بالنار وظهورها له أعلى وأعظم مما عند الشعاع بل لا نسبة

(١) بحار الانوار ج٥٥ ص٣٩

بينهـا فالشـعاع وإن كان يحكـي النار ويتوجـه إليها لكنه مـا يصل إلا إلى السراج في مقامات ظهوره لا في مقام ذاته.

فعلى هذا فاجمع بين قوله صلى الله عليه وآله: (ما عرفناك حق معرفتك)[1] وقوله صلى الله عليه وآله : (يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت)[2] وقوله عليه السـلام : (أي آية أكـبر مني وأي نبأ أعظم مني-) وقـول مولانا الصادق عليه السلام (أي آية أراها الله سبحانه في الآفاق وفي أنفس الخلايق غيرنا) انتهى.

فاعلم من ذلك أن الخلق مثل المثل واسم الاسم وصفة الصفة وظهور الظهور وهم عليهم السـلام الأصل وما عداهم فروع وأشـعة وأظلة قال عليه السـلام: (إنما سميت الشيعة شيعة لأنهم خلقوا من شعاع أنوارنا)، فافهم والله سبحانه ما ظهر للخلق وما ظهرت آياته إلا بهم عليهم السلام فهم أركان التوحيد وفي دعاء رجب: (فبهم ملأت سـماءك وأرضك حتى ظهـر ألا إله إلا أنـت)[3] وقال الجواد عليه السـلام في الزيارة لأبيه عليهما السـلام السلام على إقبال الدنيا وسـعودها، ومن سئل عن كلمة التوحيد فقال: أنا والله من شروطها، السـلام على شـهور الحول وعدد السـاعات وحـروف لا إلـه إلا الله في الرقوم المسـطرات[4] وفي هذا المقام غرايب من المعرفة يضيق الصدر بإظهارها ولا يضيق بكتمانها كما قال الشاعر:

---

(١) بحار الانوار ج٦٦ ص٢٩١ -ج٦٨ ص٢٣ -عوالي اللالي ج٤ ص١٣٢
(٢) تاويل الايات ٢٢٧أ١٤٥
(٣) البلد الامين ١٧٩
(٤) بحار الانوار ج٩٩ص٥٤

ومستخبر عن سير ليلى أجبته بعمياء من ليلي بلا تعيين
يقولون خبرنا وأنت أمينهـا وما أنا إن خبرتهم بأمين

والسلام وفيما ذكرت جواب جميع ما سألت على جهة الوضوح.

بيان الحروف

قال سلمه الله تعالى: المسألة السادسة فسر لنا بعض الرموزات الحرفية

أقول: اعلم أن الحروف عالم مثل عالم الذوات وفيها جميع ما في العالم من الأحوال والأوضاع والقرانات والطبايع والصفات وساير الأمور،وها أنا أنبئك ما يجمع الكل فإن بيان الكل على جهة التفصيل يؤدي إلى التطويل ولا يمكن الاستقصاء أيضا إذ لا نهاية لأحوالها ولا غاية لأطوارها فمن وصل إلى بعض الرمز فاز بالكنز.

فاعلم أن الله سبحانه لما خلق الذوات وكينونات الحقايق في مقام التفاصيل جعل لكل ذات صفة ولكل معنى صورة والحروف صفات الذوات وحاملة آثارها وترجمان أحكامها مرآة شئوناتها، فلولاها لم تظهر صفات الذوات وأحكام الكينونات الغيبية في عالم الشهادة بل في كل عالم لأن الحروف لها مراتب إذ لا تنحصر في الألفاظ الحسية الجسمانية أوالنقشية بل لها مراتب أربعة فعددية وفكرية ولفظية ورقمية.

فالعددية هي القوى المستجنة في كل حرف.

والفكرية هي الحروف الغيبية المجردة فبرزخية مثالية ونفسية ملكوتية وروحية رقايقية وعقلية معنوية.

واللفظيـة هـي المؤلفـة المقطعة مـن الهـواء المصاغـة بالضغـط والقرع والقلع.

والرقمية هي الصور المكتوبة المنقوشـة ولكل منها أحكام وآثار يترتب عليها، ولما كانت الصفة على طبق الموصوف وكانت مراتب الذوات ثمانية وعشرين تقررت الحـروف أيضا على ثمانية وعشرين حرفا فبإزاء كل رتبة حـرف لوجوب المناسـبة والمرابطـة بين الصفة والموصـوف ولما كانت كل مرتبـة لها جهات ثلاثة، جهـة إلى صرف مبدئه فهو حينئذ حرف من اسـم مبدئه لما ذكرنا سـابقا من جهة كونها صرف الدلالة عليه و جهة كونه أثرا للمبـدأ ومتلقيـا الفيض مـن المبدأ، وجهـة صرف الإنية والماهيـة المظلمة المدلهمـة فالجهة العليا نـور محض وخير بحت من جهـة الإضافة. والجهة الثانيـة لما كانت مشـوبة بالعليا والسـفلى فـما قربت إلى العليـا قويت فيها جهة النور وما بعدت عنها قويت فيها جهة الظلمة وأما الجهة السفلى فهي منكسـة الرأس بعيدة عن الخير والنور والسرور والحبور ظهرت الحروف على هذه الجهات الثلاثة.

فأول المراتب في الوجه الأعلى للعالم هو اسـم الله البديع فبإزائه الألف مـن الحـروف التي هي الأعـلى، وأولها في الجهة الوسـطى العقـل وبإزائه الألـف أيضـا في الوجه الأوسـط، وأولها في الوجه الأسـفل الشر المحض الجهل الكلي وبإزائه الألف المنكوسة هكذا صورتها (ــــ) .

وثـاني المراتـب في الوجه الأعـلى الباعث وبإزائه البـاء من الحروف في الوجـه الأعلى، وثانيها في الوجه الأوسـط النفس الكليـة وبإزائها الباء في

الأوسط، وثانيها في الوجه الأسفل الباطل الثرى وبإزائها الباء المنكوسة هكذا (ب) .

وثالث المراتب في الأعلى اسم الله الباطن وبإزائه الجيم في الأعلى، وثالثها في الأوسط الطبيعة وبإزائها الجيم في الأوسط، وثالثها في الوجه الأسفل الباطل الطمطام وبإزائها الجيم المنكوسة (ج).

ورابع المراتب في الأعلى اسم الله الآخر وبإزائه الدال في الأعلى، ورابعها في الأوسط المادة الكلية جوهر الهباء وبإزائها الدال في الأوسط ورابعها في الأسفل الباطل الفاسد جهنم في الطبقات السبعة وبإزائها الدال المنكوسة هكذا (د).

وخامس المراتب في الأعلى اسم الله الظاهر وبإزائها الهاء في الأعلى، وخامسها في الأوسط المثال شكل الكل وبإزائها الهاء في الأوسط، وخامسها في الأسفل الباطل ريح العقيم وبإزائها الهاء المنكوسة هكذا (ه).

وسادس المراتب في الأعلى اسم الله الحكيم وبإزائها الواو في الأعلى، وسادسها في الأوسط جسم الكل وبإزائها الواو في الأوسط، وسادسها في الأسفل البحر وبإزائها الوأوالمنكوسة هكذا (e).

وسابع المراتب اسم الله المحيط وبإزائها الزاء في الأعل،ى وسابعها في الأوسط العرش محدد الجهات وبإزائها الزاء في الأوسط، سابعها في الأسفل الحوت وبإزائها الزاء المنكوسة هكذا (ز).

وثامـن المراتـب في الأعلى اسـم الله الشـكور وبإزائها الحـاء في الأعلى، وثامنتهـا في الأوسـط الكـرسي وبإزائهـا الحـاء في الأوسـط، وثامنتها في الأسفل الباطل الثور وبإزائها الحاء المنكوسة (ح).

وتاسـع المراتـب في الأعـلى اسـم الله الغنـي وبإزائها الطـاء في الأعلى، وتاسعها في الأوسط فلك البروج وبإزائها الطاء في الأوسط، وتاسعها في الأسفل الصخرة وبإزائها الطاء المنكوسة هكذا (ط).

وعـاشر المراتب اسـم الله المقتدر وبإزائها اليـاء في الأعلى، وعاشرها في الأوسـط فلك (المنارل) وبإزائها الياء في الأوسـط، وعاشرها في الأسفل بهموت وبإزائها الياء المنكوسة (ي).

وحادي عشر المراتب اسم الله الرب وبإزائها الكاف في الأعلى، وحادي عشرها في الأوسط فلك زحل وبإزائها الكاف في الأوسط، وحادي عشرها في الأسفل الباطل أرض الشقاوة وبإزائها الكاف المنكوسة(ك).

وثاني عشر المراتب في الأعلى اسـم الله العليم وبإزائها اللام في الأعلى، وثاني عشرها في الأوسـط فلك المشـتري وبإزائها اللام في الأوسط، وثاني عشرها في الأسفل أرض الإلحاد وبإزائها اللام المنكوسة (ل).

وثالث عشر المراتب في الأعلى اسـم الله القاهر وبإزائها الميم في الأعلى، وثالث عشرها في الأوسـط فلك المريخ وبإزائها الميم في الأوسـط، وثالث عشرها في الأسفل أرض الطغيان وبإزائها الميم المنكوسة (م).

ورابـع عشر المراتب اسـم الله النـور وبإزائها النـون في الأعلى، ورابع عشرهـا في الأوسـط فلـك الشـمس وبإزائها النـون في الأوسـط، ورابع

عشرها في الأسفل أرض الشهوة وبإزائها النون المنكوسة (ن).

وخامس عشر المراتب في الأعلى اسم الله المصور وبإزائها السين في الأعلى وخامس عشرها في الأوسط فلك الزهرة وبإزائها السين في الأوسط وخامس عشرها في الأسفل أرض الطبع وبإزائها السين المنكوسة (س).

وسادس عشر المراتب في الأعلى اسم الله المحصي وبإزائها العين في الأعلى، وسادس عشرها في الأوسط فلك عطارد وبإزائها العين في الأوسط، وسادس عشرها في الأسفل الباطل أرض العادات وبإزائها العين المنكوسة (ع).

وسابع عشر المراتب في الأعلى اسم الله المبين وبإزائها الفاء في الأعلى، وسابع عشرها في الأوسط فلك القمر وبإزائها الفاء في الأوسط، وسابع عشرها في الأسفل الباطل أرض الممات وبإزائها الفاء المنكوسة (ف).

وثامن عشر المراتب في الأعلى اسم الله القابض وبإزائها الصاد في الأعلى، وثامن عشرها في الأوسط كرة النار وبإزائها الصاد في الأوسط، وثامن عشرها في الأسفل الباطل كمثل الكلب وبإزائها الصاد المنكوسة (ص).

وتاسع عشر المراتب في الأعلى اسم الله الحي وبإزائها القاف في الأعلى، وتاسع عشرها في الأوسط كرة الهواء وبإزائها القاف في الأوسط، وتاسع عشرها في الأسفل الباطل السموم وبإزائها القاف المنكوسة (ق).

والعشرون من المراتب في الأعلى اسم الله المحيي وبإزائها الراء في الأعلى والعشرون منها في الأوسط كرة الماء وبإزائها الراء في الأوسط والعشرون

منها في الأسفل الباطل بحر الأجاج المالح وبإزائها الراء المنكوسة (ر).

والحادي والعشرون من المراتب في الأعلى اسم الله المميت وبإزائها الشين في الأعلى والحادي والعشرون منها في الأوسط كرة الأرض وبإزائها الشين في الأوسط والحادي والعشرون منها في الأسفل الباطل أرض السبخة وبإزائها الشين المنكوسة (ش).

والثاني والعشرون من المراتب في الأعلى اسم الله العزيز وبإزائها التاء في الأعلى والثاني والعشرون منها في الأوسط المعدن وبإزائها التاء في الأوسط والثاني والعشرون منها في الأسفل الحجارة والحديد وبإزائها التاء المنكوسة (ت).

والثالث والعشرون من المراتب اسم الله (الرازق) وبإزائها الثاء في الأعلى والثالث والعشرون منها في الأوسط النبات وبإزائها الثاء في الأوسط والثالث والعشرون منها في الأسفل النبات المر وبإزائها الثاء المنكوسة (ث).

والرابع والعشرون من المراتب في الأعلى اسم الله المذل وبإزائها الخاء المعجمة في الأعلى والرابع العشرون منها في الأوسط الحيوان وبإزائها الخاء المعجمة في الأوسط والرابع والعشرون منها في الأسفل المسوخ وبإزائها الخاء المنكوسة (خ).

والخامس والعشرين من المراتب في الأعلى اسم الله القوي وبإزائها الذال في الأعلى والخامس والعشرون منها في الأوسط الملك وبإزائها الذال في الأوسط والخامس والعشرون منها في الأسفل الشياطين وبإزائها الذال المنكوسة (ذ).

والسادس والعشرون من المراتب في الأعلى اسم الله اللطيف وبإزائها الضاد في الأعلى والسادس والعشرون منها في الأوسط الجن وبإزائها الضاد في الأوسط والسادس والعشرون منها في الأسفل شياطين الجن وبإزائها الضاد المنكوسة (ضـ).

والسابع والعشرون من المراتب في الأعلى اسم الله الجامع وبإزائها الظاء في الأعلى والسابع والعشرون منها في الأوسط الإنسان وبإزائها الظاء في الأوسط والسابع والعشرون منها في الأسفل شياطين الإنس وبإزائها (ظـ).

الظاء المنكوسة والثامن والعشرون من الراتب في الأعلى اسم الله رفيع الدرجات والثامن والعشرون منها في الأوسط الجامع عليه السلام وبإزائها الغين في الأوسط والثامن والعشرون منها في الأسفل إبليس لعنه الله تعالى وبإزائها الغين المنكوسة (غ).

فهذه هي مراتب الموجودات وبازاء كل موجود في كل مرتبة حرف تؤثر تأثيره وتعمل عمله وتفعل فعله إذا قدرت بالميزان الطبيعي فكل حرف بإزائها الخواص المختصة بكل مرتبة فيشار بها إليها فكما أن العوالم والمراتب الغير المتناهية إنما حصلت من قرانات هذه المراتب بعضها مع بعض كذلك اللغات والأوضاع والكلمات الغير المتناهية إنما حصلت من قرانات هذه الحروف بعضها مع بعض وهذا الذي ذكرت لك مفتاح كل مشكل والله الهادي إلى الصواب وبه يظهر أسرار السنة والكتاب.

أنواع الحروف

واعلم أن في الحروف حروف متحابية وحروف متصادقة وحروف فكرية وحروف رقمية وحروف متواخية ومفردة وصامتة وناطقة وظاهرة وباطنة ومتصلة ومنفصلة وخاصة وعامة وروحانية وجسمانية وعلوية وسفلية وجمالية وجلالية وليلية ونهارية وشرقية وغربية وشمالية وجنوبية وثابتة وساقطة ومتحركة وساكنة وبسيطة ومركبة ومذكرة ومؤنثة وشمسية وقمرية وعقلية وحسية وغالبة ومغلوبة وسعدية ونحسية وفاتحة وخاتمة ووترية وشفعية ولطيفة وكثيفة وحيوانية ونباتية ومعدنية ونارية وهوائية ومائية وترابية.

فأما المتحابية ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق وعدتها (٢٠) وكل حرف له نتايج وبسايط وقد يطلق عليها المتصادقة.

وأما (المتصادقة) فهي حروف ا هـ ط م ف ش ذ مع حروف ب وي ن ص ت ظ وحروف ج ز ك س ق ث ض.

وأما المتعادية فهي الأحرف الأول مع دح ل ع ر خ غ والأحرف الثانية مع الأحرف الثالثة فتدبر.

وأما الحروف الفكرية فهي التي تكون في حديث النفس في اختراع أمر من الأمور الكلية وتجمعها الثلاثة والثلاثون حرفا كما ورد في الحديث عن الرضا عليه السلام على ما رواه في عيون الأخبار والتوحيد[1].

---

(١) في التوحيد ص ٤٣٥ وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام ج١ ص١٧٣ اعلم أن الإبداع و المشية و الإرادة معناها واحد و أسماؤها ثلاثة و كان أول إبداعه و إرادته و مشيته الحروف التي جعلها أصلا لكل شيء و دليلا على كل مدرك و فاصلا لكل مشكل و تلك الحروف تفريق كل شيء من اسم حق و باطل أو فعل أو مفعول أو معنى أو غير معنى و عليها اجتمعت الأمور كلها و لم يجعل للحروف في إبداعه

وأمـا الحـروف الرقمية فهي عـلى نوعين وذلك بأعـداد جملي للحروف وأعـداد رقم الهندي بقلم أهل الهند ويسـمونه بقلم الأنـوار ومثال الأول الألف أحد والباء اثنان والجيم ثلاثة إلى آخر الحروف ومثال الثاني الألف ١ الباء ٢ ج ٣ د ٤ وهكذا إلى آخرها.

وأما الحروف المتواخية فهي المزدوجة مثل ب ت ث ج ح وأمثالها.

وأمـا المفردة فهي التي لا يكون لها حرف بين الحروف يماثلها مثل ا هـ م وك.

وأما الصامتة فهي اح د ر س ص ط ع ك ل م.

وأمـا الناطقـة فهي مثـل م ن و وهـذا مذهب أهل المغـرب وأما أهل المشرق فإنهم يقولون هي الحروف ذوات النطق.

وأما الظاهرة فهي التي يتلفظ الشخص عند النطق.

وأما الباطنة فهي التي تظهر في النطق لا في الخط كالألف في الله والرحمن وتطلق أيضا على تكسير الحروف.

لها معنى غير أنفسها يتناهى و لا وجود لأنها مبدعة بالإبداع و النور في هذا الموضع أول فعل الله الذي هو نور السماوات و الأرض و الحروف هي المفعول بذلك الفعل و هي الحروف التي عليها الكلام و العبارات كلها من الله عز و جل علمها خلقه و هي ثلاثة و ثلاثون حرفا فمنها ثمانية و عشرون حرفا تدل على اللغات العربية و من الثمانية و العشرين اثنان و عشرون حرفا تدل على اللغات السريانية و العبرانية و منها خمسه أحرف متحرفة في سائر اللغات من العجم لأقاليم اللغات كلها و هي خمسة أحرف تحرفت من الثمانية و العشرين الحرف من اللغات فصارت الحروف ثلاثة و ثلاثين حرفا فأما الخمسة المختلفة فبحجج لا يجوز ذكرها أكثر مما ذكرناه ثم جعل الحروف بعد إحصائها و إحكام عدتها فعلا منه كقوله عز و جل كُنْ فَيَكونُ و كن منه صنع و ما يكون به المصنوع فالخلق الأول من الله عز و جل الإبداع لا وزن له و لا حركة و لا سمع و لا لون و لا حس و الخلق الثاني الحروف لا وزن لها و لا لون و هي مسموعة موصوفة غير منظور إليها و الخلق الثالث ما كان من الأنواع كلها محسوسا ملموسا ذا ذوق منظورا إليه و الله تبارك و تعالى سابق للإبداع لأنه ليس قبله عز وجل شيء و لا كان معه شيء و الإبداع سابق للحروف و الحروف لا تدل على غير أنفسها.

وأمـا المتصلة فهي التي إذ كسرت وبسـطت الحـروف تجمع كل حرف على طبيعته وتنظم المناسب.

وأما المنفصلة فهي التي تكررت وقت التكسير.

وأما الخاصة فهي حروف المراتب مثل ا ب ج د.

وأما العامة فهي حروف الدقايق وما بعدها إلى آخر مراتبها مثل ذ ض ظ غ.

وأما الروحانية مثل الألف وما شاكلها في المرتبة.

وأما الجسمانية فمثل ح ص ض أصحاب أجسام في تشكيلها.

وأما العلوية فهي حروف المراتب والسفلية هي حروف الدقايق.

وأمـا النهاريـة فهـي النورانية وهـي ص ر ا ط ع ل ي ح ق ن م س ك هـ.

وأمـا الشرقيـة فهـي ايقنع بكـر جلش دمـت هنث وسـخ زعذ حفص طضظ.

وأما الغربية فهي اعهطنفش إلى آخرها.

وأما الجنوبية فهي منصع ثخذ.

وأما الشمالية وهي ابجد هوز حطي وهي أصل في الأعداد.

وأما المتحركة فمثل الخاء وما شاكلها.

وأما البسـيطة فهي الحروف الهجائية والمكسرة ومعنى التكسير تفكيك الاسم وبسطه وتفصيله بالحروف المقطعة.

وأما المركبة فهي الحروف المؤلفة المجتمعة من البسط والتكسير.

والمذكرة فهي أصول الحروف من الألف إلى الطاء والمؤنثة مثل (هـ)[1] حروف يتلفظ بحرف الهاء.

وأما الشمسية فهي الحروف الحارة وأما القمرية فهي الحروف الباردة.

والعقلية هي حروف المراتب والدرج.

والحسية هي الحروف الشفوية كما أن العقلية هي حروف الحلق.

والغالبة ما كان عددها وترا والمغلوبة ما كان عدد بسايطها زوجا.

والسعيدة في أوايل السور والنحسة ق ش ج ث ظ ح ذ هـ.

والفاتحة مثل ا ل وت ي والخاتمة مثل م ا ي ن.

والوترية ما كان بسايطه ثلاثة أحرف أو خمسة والشفعية ما كانت أربعة أو ستة.

واللطيفة هي النورانية والكثيفة هي الظلمانية وهي الليلية.

والنباتية ب هـ ح ل ك ن ر ق ت د ع، والحيوانية ف ج هـ ك ن ر د ت ض، والمعدنية ح وط ل س ص ش خ لا.

وأما حروف الطبايع والمراتب والدرجات فانظر في هذا الجدول فاعرفها

---

(١) كان هكذا فثي الأصل.

مقامات الطبايع	نارية	ترابية	هوائية	مائية	قيل في الأنبياء
المراتب	ا	ب	ج	د	ابرهيم عليه السلام
الدرجات	هـ	و	ز	ح	هرون عليه السلام
الدقايق	ط	ي	ك	ل	موسى عليه السلام
الثواني	م	ن	س	ع	ادريس عليه السلام
الثوالث	ف	ص	ق	ر	يوسف عليه السلام
الروابع	ش	ت	ث	خ	عيسى عليه السلام
الخوامس	ذ	ض	ظ	غ	آدم عليه السلام

ونسبة المرتبة إلى الدرجة وهي إلى الدقيقة وهكذا إلى آخرها قيل أنها ثلاثون وقيل عشرة وللكل وجه فزن مقادير الحروف بهذا الميزان فإذا وقع التعارض والتنافي بين الحروف المتعادية فاعرف مراتبها من هذا الجدول ثم عدلها بما يناسب مقامها ومرتبتها من الحروف المصلحة لها كما هو المقرر عندهم.

وأما الحروف الساقطة فهي التي تسقط عند الطرح أوعند البسط أوغير ذلك من الأحوال والثابتة تقابلها .

واعلـم أن الحروف عـلى ثلاثة أقسـام مكتوب وملفـوظ ومسرود، فما كان من الحروف ثنائية تسـمى مسرودة وما كان ثلاثية فإن كان أولها عين آخرهـا كالميم والنون والواو فهي ملفوظة وإلا فمكتوبة، ولها تقسـيم آخر لأنهـا تنقسـم إلى جبروتيـة وملكوتية وملكيـة فما كان من حـروف الحلق فهي جبروتية وما كان من حروف الوسـط فملكوتية وما كان من حروف الشـفة فملكية، ولها تقسيمات أخر ويتفرع على كل منها تصريف وأحكام وتأثـيرات غريبة عجيبة يطول بذكرها الكلام والاطلاع عليها موكول إلى كتب أهل الجفر إلا أن الذي ذكرت كليات العلم فالمتفطن يلتفت إلى الرمز ويستخرج الكنز والله الهادي للصواب وعليه المعول في المبدأ والمآب.

قال سـلمه الله تعالى: المسـألة السـابعة ما المراد من الحروف المقطعة في القرآن.

معنى الحروف المقطعة

أقول: اعلم أن جل العلوم بل كلها من تفاصيل أحوال الخلق أغلبها على جهة الواقع والحقيقة إنما تستفاد من الحروف المقطعة القرآنية من جهة ذاتها وصفاتها وقراناتها واتصالاتها وانفصالاتها وطبايعها وأوضاعها وعلويها وسـفليها ومجردها وماديهـا وحارها وباردهـا ورطبها ويابسـها ومرتبتها ودرجاتهـا ودقايقهـا وثوانيهـا وثوالثهـا وروابعها وخوامسـها ونورانيها وظلمانيهـا وأفلاكها وعناصرهـا ونجومها وبروجهـا ومنازلها وملائكتها وشياطينها وسائر أحوالها من إعرابها من ضمها وفتحها وكسرها ورفعها

ونصبها وجرها وجزمها وسكونها وبنائها وغيرها وسائر شئوناتها بسائر قراناتها فإن لكل واحد من هذا المجموع له نسبة إلى المجموع وتؤثر كل نسبة مع المجموع استخراج حكم خاص من الأحكام الوجودية، ولا نهاية لهذه القرانات والأحوال فلا غاية إذن للأسرار القرآنية.

وإلى نوع ما ذكرنا ينظر قول مولانا الباقر عليه السلام على ما رواه في التوحيد إلى أن قال عليه السلام: (لو شئت لاستخرجت جميع ما يحتاج إليه الخلق من لفظة الصمد)[1] وقول مولانا أمير المؤمنين عليها السلام: (أن كل ما في القران في الحمد وكلما في الحمد في البسملة وكلما في البسملة في الباء وكلما في الباء في النقطة وأنا النقطة تحت الباء)، ونوع وكيفية الاستخراج والاستنباط ما أشرنا إليك من ملاحظة نسبة هذه الحروف والكلمات بعد التقطيع ومشاهدة ما قبلها من الحروف أي يمينها ويسارها وفوقها وتحتها فإن لكل حرف لها يمين ويسار وفوق وتحت مثل الألف فإن يمينها الغين ويسارها الباء وفوقها الياء وتحتها القاف والباء يمينها الألف ويسارها الجيم وفوقها الكاف وتحتها الراء فإذا أردت وضعها عند نسبة هذه الجهات فارسمها هكذا :

ي   ك   ل

ص ا ب ——— ا   ب ج ——— ب ج د

ض   ر   ش

(١) في التوحيد للشيخ الصدوق ص ٩٢ : قال الإمام الباقر عليه السلام (لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عزوجل حملة لنشرت التوحيد والاسلام والايمان و الدين والشرائع من الصمد).

فـإذا لوحظـت هذه النسـبة التي أشرنـا إلى قليل مـن أنواعها تسـتنبط العلـوم والمعارف والإخبار بالمغيبات وما تكنه الضماير وتسـتجنه السرائر ووقوع الحادثات المستقبلة وتحقيق الأحوال الماضية والواردات الخالية مما عنـدك والمشرق والمغـرب، فإن الحروف مظاهر الابتـداع والاختراع وبها جـرى التأثير والفعـل في العوالم العلوية والسـفلية كما قـال مولانا الرضا عليه السـلام على ما رواه في العيون (إن أول خلق الله الاختراع والابتداع ثـم خلق الحـروف فجعلها فعلا منها يقـول للشيء كن فيكـون) والقران هـو أعلى مظاهر الفعـل الظاهر في الكينونات بسر الحـروف فيكون بتلك الحروف مشتملا على جميع أسرار الفعل ولذا قال تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[2] ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[3] ولا يطلـع عـلى تلـك الأسرار بتلـك الأطوار إلا محمد وآله الأطهار الأبرار عليه وعليهم سلام الله مادام الليل والنهار إذ لا تقتضي كينونات الخلايق أن يدركوها ويعرفوها ويحيطوا بها، نعـم قد علموا بعض خواص الشـيعة نوعها وشرذمـة من بعض تفاصيل أحوالها وذلـك مما يصعب بيانه ويعسر برهانه فطيها أولى من شرحها وإن كانت قد ذكرت بالنوع يدركها من كان له قلب أوألقى السمع وهوشهيد وهـذا هو الحكم في الحـروف المقطعة في جميع القـرآن إذا قطعت الكلمات وفصلتها حروفا.

---

(١) يوسف ١١١

(٢) الأنعام ٣٨

(٣) النحل ٨٩

وأما الحروف المقطعة في أوائل السور فاعلم أنه اختلفت أقوال المفسرين فيها اختلافا فلا نتعرض لذكرها إذ لا فائدة فيها، وأما ما ورد التصريح به في الأخبار فقد ورد تفسير ﴿ الٓمٓ ﴾ أنا الله أعلم، وفي تفسير ﴿الٓمٓرٓ﴾ أنا الله أعلم وأرى، وورد أيضا أن الألف إشارة إلى الله وأن اللام إشارة إلى جبرئيل وأن الميم إشارة إلى محمد صلى الله عليه وآله يعني أن هذا القرآن نزل من الله سبحانه بواسطة جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله، وورد أيضا أنها حروف الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب وهوالاسم اللفظي لا الاسم الأعظم المعنوي، فإن تأثير الثاني لأناس مخصوصين والأول لكل أحد فإذا أراد الإمام عليه السلام أن يدعوالله سبحانه بذلك الاسم يؤلف من هذه الحروف اسما كيف يشاء فيدعوالله به وذلك مكتوم يتفردون به سلام الله عليهم لا يشاركهم سواهم.

وورد أيضا أنها بيان التواريخ كما في حديث أبي لبيد المخزومي عن الباقر عليه السلام أن ألم تاريخ خروج النبي صلى الله عليه وآله، و ألم تاريخ خروج الحسين عليه السلام، و﴿ الٓمٓصٓ﴾ تاريخ خروج الفاسق المهدي العباسي لعنه الله، و ألمر تاريخ خروج المهدي مولانا صاحب الزمان عجل الله فرجه وعليه السلام[1] وذلك بالحكم الوضعي و(يمحوالله ما يشاء

---

(١) في تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٠٢ : عن ابي لبيد المخزومى عن ابى جعفر عليه السلام قال : يا بالبيد ان في حروف القرآن لعلما جما ان الله تبارك وتعالى انزل : الم ذلك الكتاب فقام محمد صلى الله عليه وآله حتى ظهر نوره وثبتت كلمته ، وولد يوم ولد وقد مضى من الالف السابع مأة سنة وثلث سنين ثم قال : وتبيانه في كتاب الله في الحروف المقطعة ، إذا عددتها من غير تكرار ، وليس من حروف مقطعة حرف تنقضي ايامه الا وقائم ، من بنى هاشم عند انقضائه ، ثم قال : الالف واحد ، واللام ثلثوان ، والميم أربعون والصاد ستون (فذلك مأة واحدى وثلثون ثم كان بدو خروج الحسين بن على عليه السلام آلم الله ، فلما بلغت مدته قام قائم من ولد العباس عند ألمص ، ويقوم قائمنا عند انقضائها بألر فافهم ذلك وعه واكتمه .

ويثبت وعنده أم الكتاب)، وورد أيضا عن العسكري عليه السلام ما وجد بخطه الشريف روحي فداه أن (طه والطواسين) أيضا إشارة إلى ذلك كما قال عليه السلام بعد كلام له (وشيعتنا الفئة الناجية وسينفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران لتمام ألم وطه والطواسين)[1].

وورد في تفسير ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ أنه الإشارة إلى الأسماء الإلهية أي الكافي والهادي والولي والعالم والصادق[2].

وورد أيضا عن الحجة عليه السلام أن الكاف إشارة إلى كربلاء والهاء إشارة إلى هلاك العترة الطاهرة عليهم السلام والياء إشارة إلى يزيد لعنه الله تعالى والعين إشارة إلى عطش أهل بيت الرحمة جعلني الله فداءهم والصاد إشارة إلى صبرهم على تلك المصايب الجليلة والرزايا العظيمة[3].

---

(١) بحار الانوار ج٧٥ص٣٧٧

(٢) في تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج ١ ص ٧٥ : عن الحسن ، وزيد بن أسلم وثانيها : إن المراد بها الدلالة على أسماء الله تعالى ، فقوله تعالى : (الم) معناه : أنا الله أعلم . (والمر) معناه : أنا الله أعلم وأرى . (والمص) معناه : أنا الله أعلم وأفصل . والكاف في (كهيعص) من كاف . والهاء من هاد . والياء من حكيم . والعين من عليم . والصاد من صادق ، عن ابن عباس . وعنه أيضا : إن (الم) الألف منه تدل على اسم الله . واللام تدل على اسم جبرائيل . والميم تدل على اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

(٣) في مناقب آل ابي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٣٧ : سأل اسحاق الاحمر الحجة (عجل الله فرجه) عن قول الله تعالى (كهيعص) ، فقال : هذه الحروف من أنباء الغيب اطلع الله عليه عبده زكريا ثم قصها على محمد (صلى الله عليه وآله) وذلك ان زكريا سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة فأهبط عليه جبرئيل وعلمه إياها وكان زكريا إذا ذكر محمدا وعيا وفاطمة والحسن والحسين سرى عنه همه وانجلى كربه وإذا ذكر الحسين غلبته العبرة ووقعت عليه الزفرة فقالت ذات يوم : إلهي إذا ذكرت أربعا منهم تسليت بأسمائهم من همومي وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي فأنبأه الله في قصته فقال : كهيعص ، فالكاف اسم كربلاء ، والهاء هلاك العترة ، والياء يزيد وهو ظالم للحسين ، والعين عطشه ، والصاد صبره . فلما سمع ذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع الناس من الدخول عليه وأقبل على البكاء والنحيب ويقول : إلهي أتفجع خير خلقك بولده إلهي أتنزل الرزية بفنائه إلهي أتلبس عليا وفاطمة ثياب هذه المصيبة إلهي أتحل هذه الفجيعة بساحتهما ، ثم كان يقول : اللهم ارزقني ولدا تقر به عيني على الكبر واجعله وارثا رضيا يوازي محله مني الحسين فإذا رزقتنيه فافتني بحبه ثم افجعني به كما تفجع محمدا حبيبك بولده فرزقه يحيى وفجعه به ، وكان حمل يحيى ستة اشهر ، وحمل الحسين ستة اشهر ، وذبح يحيى كما ذبح الحسين ولم تبك السماء والارض إلا عليهما.

وورد في تفسير ﴿ طه ﴾ أنه اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وآله، ولما كان صلى الله عليه وآله يتعبد لله سبحانه ويقوم قايما على رجليه الشريفة حتى تورمت قدماه نزلت الآية ﴿ طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ أي طا ها ولا تجعل نفسك في المشقة.

وورد في تفسير ﴿ يسٓ ﴾ عن ابن عباس يا إنسان أو يا سيد الأولين والآخرين[1]، وورد أنه اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وآله وآل يس أي آل محمد صلى الله عليه وآله وهو قلب القرآن، وورد في تفسير الصاد أنه بحر تحت العرش وهو الماء الذي كان العرش عليه قبل خلق السموات والأرض وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (لو صب خردل حتى ملأ الفضاء وسد ما بين الأرض والسماء وأنت لو عمرت كلفت مع ضعفك أن تنقل حبة حبة من المشرق إلى المغرب حتى ينفد لكان ذلك أقل من جزء من مائة ألف جزء من رأس الإبرة مما بقي العرش على الماء قبل خلق السموات والأرض واستغفر الله عن التحديد بالقليل)[2] انتهى.

---

(١) في تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ج ٨ ص ٢٥٩ : المعنى : (يس) قد مضى الكلام في الحروف المعجمة عند مفتتح السور في أول البقرة ، واختلاف الأقوال فيها . وقيل أيضا : يس معناه يا إنسان ، عن ابن عباس ، وأكثر المفسرين . وقيل : معناه يا رجل ، عن الحسن ، وأبي العالية . وقيل : معناه يا محمد ، عن سعيد بن جبير ، ومحمد بن الحنفية . وقيل : معناه يا سيد الأولين والآخرين . وقيل : هو اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، عن علي بن أبي طالب ، وأبي جعفر عليه السلام .

(٢) في بحارالأنوار ١٠ / ١٢٦ أنه عليه السلام قال (أ رأيت إن صب خردل في الأرض حتى يسد الهواء و ما بين الأرض و السماء ثم أذن لك على ضعفك أن تنقله حبة حبة من مقدار المشرق إلى المغرب و مد في عمرك و أعطيت القوة على ذلك حتى نقلته و أحصيته لكان ذلك أيسر من إحصاء عدد أعوام ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الله الأرض و السماء و إنما وصفت لك عشر عشر العشير من جزء من مائة ألف جزء و أستغفر الله عن التقليل والتحديد).

وورد في تفسير حم أنه اسم محمد صلى الله عليه وآله كما ورد في قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [1] أن حم هو رسول الله صلى الله عليه وآله والكتاب المبين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام (إنا أنزلناه) أي عليا عليه السلام (في ليلة مباركة) وهي الصديقة الطاهرة (فيها يفرق كل أمر حكيم) أي يمتاز كل إمام حكيم بعد إمام حكيم.

وورد في تفسير ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ أن حم اسم محمد صلى الله عليه وآله وعلم علي كله في عسق، فالعين إشارة إلى عقله عليه السلام والسين إشارة إلى نفسه والقاف إشارة إلى جسمه الشريف عليه السلام وهذه المراتب هي مواقع العلوم على الإطلاق ولا يشذ علم عن هذه المراتب.

وورد في تفسير ﴿قٓۚ﴾ أنه جبل من زمردة خضراء محيط بالدنيا وعليه أطراف السماء ومنه خضرة السماء.

وورد تفسير ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ أن النون ملك يؤدي إلى القلم وهوملك يؤدي إلى اللوح وهوملك، انتهى.

وهذا ما وقفت عليه من تفاسير هذه الحروف المقطعة عن أهل البيت عليهم السلام من جهة التصريح.

وأما التلويح والإشارة فيظهر من تلويحات الأخبار وإشاراتها وبواطنها

---

(١) الدخان ١-٤

تفاسير غريبة عجيبة لهذه الحروف المقطعة وذكر الجميع يؤدي إلى التطويل، وليس لي الآن ذلك الإقبال لتوفر الأشغال لكنك اعلم مجملا أنك إذا حذفت مكررات هذه الحروف تخلص أربعة عشر حرفا كلها من الحروف النورانية وهي ص ر ا ط ع ل ي ح ق ن م س ك هـ ويجمعها قولك (صراط علي حق نمسكه) وفيها إشارة إلى سر القرآن وأنه ما ظهر وما تم وما وضح إلا بالهياكل الأربعة عشر، ثم أشار إلى أسرار هذه الهياكل النورانية التي هذه الحروف صفاتها ومظاهرها بذكر مراتب الحروف ففيها من الحروف الملفوظة اثنان إحديهما الميم والثانية النون فجعل الميم في الأول والنون في الآخر للإشارة إلى الأول والآخر والظاهر والباطن لإظهار سر (بكم فتح الله وبكم يختم)، ودلالة كون محمد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء وهم عليهم السلام خاتم الأوصياء أنهم الفاتح لما دل الدليل القطعي على أن كل خاتم هو الفاتح وإليه الإشارة بها في حديث الشمس حين سلمت على علي عليه السلام بمحضر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وقالت: (السلام عليك يا أول يا آخر ويا ظاهر ويا باطن)[1] الحديث، والحديث معروف مشهور، فابتدأ بالميم للإشارة إلى البدو إذ بدو ظهور الكون في أربعين مقاما ثلاثون لإتمام القابليات وعشرة لظهور المقبول كما في قوله تعالى: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[2] فقد أشار باللام إلى الثلاثين المراتب المتقدمة في القوس الصعودي وبالميم إلى اجتماع المراتب وبالألف

(١) الفضائل ٦٩-كتاب سليم ٩٣٣

(٢) الاعراف ١٤٢

إلى المبدأ الفاتح، فإن البسملة إذا عددتها هي تسعة عشر حرفا وهي قوى الواحد والواحد استنطاقه الألف المتحركة والبسملة هي الاسم الأعظم كما دلت عليه الأخبار وشهد له صحيح الاعتبار والله سبحانه خلق الخلق بأسمائه كما في الدعاء وباسمك الذي خلقت به كذا وكذا إلى آخر الدعاء، فالألف هي الإشارة إلى المبدأ لفظا ومعنى، واللام إلى ظهور القابليات، والميم إلى اجتماع القوابل مع المقبولات، فبالميم تم الكون الأول فاقتضى أن يكون الم في الأول إشارة إلى الأصل والفرع، والنون هي الإشارة إلى العود لأن النون هي بحر الصاد وذلك نهاية مقام المعراج حين ما نودي (يا محمد صلى الله عليه وآله ادن من صاد وتوضأ لصلاة الظهر) فافهم.

وفيها من الحروف المكتوبة سبعة وهي الصاد والألف والعين واللام والقاف والسين والكاف وهي الإشارة إلى السبع المثاني كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[1] وقال مولانا الباقر عليه السلام: (نحن المثاني الذي أعطانا الله نبينا)[2] وأسماؤهم صلى الله عليهم سبعة بعد حذف المكرر.

وفيها من الحروف المسرودة خمسة وهي الطاء والياء والحاء والراء والهاء وهي الإشارة إلى التوحيد لأن الخمسة استنطاقها هاء، والهاء إذا أشبعت تتولد منها الواو فيتم اسم (هو) الذي هو من الاسم الأعظم وهو ميادين التوحيد لأنها أحد عشر، خمسة منها فيها ظلمة وهلاك وخمسة منها فيها نور ونجاة وواحدة فيها ظلمات ورعد وبرق فأشار بالخمسة

(١) الحجر ٨٧

(٢) الكافي ج١ص١٤٣-بصائر الدرجات ٦٥

إلى المقامات النورية التي استبطنت في الاسم (الله) فلما ذكرت الستة التي هي مقامات الواو ظهرت كلمة التوحيد التي هي لا إله إلا الله وفي دعاء رجب: (فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر ألا إله إلا أنت)[1] وفي الزيارة (وحروف لا إله إلا الله في الرقوم المسطرات)[2] فلنقبض العنان فللحيطان آذان فافهم وفقك الله لما يحب ويرضى، ولولا خوفي من أشباه الناس لأطلقت عنان القلم في هذا الميدان ولكن لكل شيء أجل مقدر

قال أيده الله تعالى: المسألة الثامنة وكم مقدار فضل محمد صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام .

فضل النبي على أمير المؤمنين عليهما وآلهما السلام

أقول : هذا سر غامض فإن التفاضل بين أئمتنا المعصومين عليهم السلام شيء لا تصل إليه أفهامنا ولا تدركه عقولنا وأحلامنا ولا تعه أسماعنا لأن أحوالهم فوق ذكرنا وذاتنا والشيء لا يجاوز ما وراء ذاته، فأنى للرعية ومعرفة ذوات الأئمة عليهم السلام حتى يعرف مقادير تفاضل بعضها على بعض، فنسبتنا إليهم كما قال تعالى حكاية عنا لا فرق بين أحد من رسله ونسبتهم عليهم السلام إلينا كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (كلنا محمد صلى الله عليه وآله أولنا محمد وآخرنا محمد)[3] صلى الله عليه وعليهم السلام أجمعين، فلا فرق بينهم في جميع العلوم والأسرار

---

(١) البلد الامين ١٧٩

(٢) بحار الأنوار ج٩٩ ص ٥٤.

(٣) بحار الانوار ج٢٦ص١٦

والأحوال المتعلقة بالمخلوقين بأسرهم بأسرها وهو قولهم عليهم السلام: (كلنا في العلم سواء) وقوله عليه السلام: (حتى لا يكون آخرنا أعلم من أولنا)[1] الحديث، ولكن لهم عليهم السلام مراتب ومقامات في المراتب الذاتية حسب اختلافهم في تقدم الإجابة لما سألهم سبحانه ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فكان رسول الله صلى الله عليه وآله أول من أجاب داعي الحق ولبى نداءه كما قال صلى الله عليه وآله (إني فضلت على النبيين لأني كنت أول من أجاب داعي ربي حين قال ألست بربكم)[2] ثم بعد إجابته صلى الله عليه وآله أجاب علي عليه السلام وهذا الاختلاف في إجابتهم إنما وصل إلينا بإخبارهم عليهم السلام وإلا فنحن قاصرون لإدراكه، والتفاوت بين الإجابتين هو مقدار الفضيلة وقد حدد هذا التفاوت في بعض الأخبار كما في رواية جابر عنه صلى الله عليه وآله حين سأله عن أول المخلوقات قال صلى الله عليه وآله: (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر فكان يطوف حول جلال القدرة ثمانين ألف سنة فلما وصل إلى جلال العظمة خلق منه نور علي عليه السلام فكان نوري يطوف حول جلال العظمة ونور علي عليه السلام يطوف حول جلال القدرة) انتهى، فبين صلى الله عليه وآله مقدار التفاضل وهو ثمانون ألف سنة فحيث لا زمان هناك ولا تقدير هذه الليالي والأيام ترجع السنة إلى المرتبة فيكون محمد صلى الله عليه وآله

---

(١) الكافي ج١ ص٢٥٥-بحار الانوار ج٢٦ ص٩٢-الاختصاص ٣١٣-بصائر الدرجات ٣٩٢

(٢) في الكافي ج١ ص ٤٤١ عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِأَيِّ شَيْءٍ سَبَقْتَ الْأَنْبِيَاءَ وَ أَنْتَ بُعِثْتَ آخِرَهُمْ وَ خَاتَمَهُمْ قَالَ إِنِّي كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِرَبِّي وَ أَوَّلَ مَنْ أَجَابَ حِينَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلَ نَبِيٍّ قَالَ بَلَى فَسَبَقْتُهُمْ بِالْإِقْرَارِ بِاللَّهِ.

أفضـل مـن علي عليه السـلام بثمانـين ألف مرتبـة وبذلـك التأخر تحققت العبوديـة في قولـه عليـه السـلام : (أنا عبد مـن عبيد محمد صـلى الله عليه وآلـه)[1] ، وهذا لا ينافي كونها حقيقة واحدة لأن المراد هو الظهور بالتعين والتشـخص في مقـام الامتياز لأن مقام النبي صـلى الله عليه وآله هو مقام الإجمال وهو مقام النقطة ومقام علي عليه السلام مقام التفصيل وهو الألف وقـد تقدم مراتب وجوده على مراتب وجود علي عليه السـلام في المقامين مقام الغيب والشـهادة، والمراتب أربعـون وهي القبضات العشر المأخوذة مـن أفلاك ذلك العالم أي عالم النقطة الظاهرة في أربعة أدوار دورة المعدن ودورة النبات ودورة الحيوان ودورة الإنسـان بحسب ذلك العالم البسيط على جهة البسـاطة والشرافة والوحدة ودلت على الأعلى مقامات الأسفل لقول الله تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[2] وقـال مولانا الرضا عليه السـلام: (قد علم أولوالألباب أن ما هنالك لا يعلم إلا بما ههنا).

فـإذا اعتبرت مقام نشـو النقطـة في باطنها عن بارئهـا وجدتها على هذه المراتب ونشوها في ظاهرها بذكر المتعلقات فيها وجدتها على هذه المراتب وكل مرتبـة تقابـل ألف مرتبـة مما عندنا فإن يوماً عند ربك كألف سـنة مما تعـدون فـكان ثمانون ألف رتبـة وهي مقامات فضل محمـد صلى الله عليه وآلـه عـلى علي عليه السـلام وقد ظهر ذلك في اسـمه الشريـف حيث زيد

---

(١) الكافي ج١ ص٨٩-بحار الانوار ج٣ص٢٨٣-الاحتجاج ج١ ص٢١٠-التوحيد ١٧٤
(٢) فصلت ٥٣

الميمان للإشارة إلى هذه الدقيقة وإلا فهما صلى الله عليهما يتفقان ويجتمعان بحسب الاسم بملاحظة ظهور المبدأ في مادة الحمد والفرق إما بزيادة الألف ليكون أحمد أوبزيادة الميمين ليكون محمد صلى الله عليه وآله، فلك أن تقول أن النبي صلى الله عليه وآله أفضل من علي عليه السلام لكونه أعلم منه في معرفة التوحيد بحرف واحد في مقام أحمد أوثمانون ألف حرف في مقام الاسم محمد، أو قل أعلم منه بحرف واحد مشتملة على ثمانين ألف جهة، أو قل بكلمة واحدة مشتملة على ثمانين ألف حرف.

واعلم أن التفاضل إنما هو منحصر في العلم بالله لا سواه، والعلم بالله إنما يتصور للعالم في مقام ذاته لا في مرتبة صفاته وشرح ذلك يطول به الكلام وكأنه ظاهر يقرب حد الضرورة ولا منافاة في ذلك مع قوله صلى الله عليه وآله: (يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت)[1] فإنه صلى الله عليه وآله يريد أن غاية المعرفة الممكنة بعده منحصرة فيه عليه السلام لا أنهما متساويان في العلم بالله وإلا لما كان أحدهما أفضل من الآخر ضرورة وجوب تساويهما في كل ما سواه من الأحوال المتعلقة بالخلق، ثم إن تلك الأحوال معرفتها لا تورث شرفا إذ لا شرافة لغير الله ولا فخر لما سواه فالمتعلق بغير الأفضل لا يكتسب فضلا أصلا كمن عنده الخزف مع من عنده جوهرة فافهم، هذا ظاهر الكلام من أقصى ما يمكن عنه التعبير بالكتابة لأهل العموم

يقولون خبرنا وأنت أمينها   وما أنا إن خبرتهم بأمين

---

(١) تأويل الايات ١٤٥-٢٢٧

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال وفقه الله لمراضيه: المسألة التاسعة ما معنى الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين؟.

معنى الجبر

أقول: أما الجبر فهوجعل الشيء على خلاف ما يقتضيه ويلزمه القول بأنه الخلق على غير ما هو عليه، فالاختلاف في الأشياء على القول بالجبر ينسب إلى نفس إرادة الخالق الجاعل لا إلى شيء سواه وفيه لزوم الترجيح من غير مرجح وهم يلتزمون بذلك فيجعلون نسب الأشياء بعضها ببعض من الأمور الاتفاقية حسب جعل الجاعل لا لاقتضاء بينهما ونسبة حقيقية بينهما وقالوا أن الله سبحانه أجرى عادته أن يخلق شيئا بعد شيء وإن سئلوا عن سبب جريان هذه العادة واختصاصها يقولون إن ذلك بلا سبب وترجيح من غير مرجح وهوتعالى لا يسأل عما يفعل، وقالوا إن الله تعالى خلق الأفعال من الخير والشر ولا دخل للعبد فيه فحين ما يخلق الزنا في زيد ويخلق الصلاة في عمرو، ولا خبث في زيد اقتضى ذلك ولا حسن في عمرو يقتضي ذلك، فإذن لا مدح يرجع إلى عمرو ولا ذم إلى زيد وتشبثوا في ذلك ببعض الآيات والأخبار المتشابهة التي أوردت كذلك لاستنطاق سرايرهم الخبيثة واستعلام بواطنهم الفاسقة المدهمة، وفي الحقيقة هذا القول يقرب إلى السوفسطائية بل هو قولهم حقيقة والأدلة الثلاثة من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن

مع شرايطها الأربعة ومتمماتها ومكملاتها التي هي الكتاب المحكم والسنة المعلومة والعقل المستنير والعالم من الآفاق والأنفس التي أرى الله سبحانه آياته فيها إيانا ناصة على بطلانه وفساده لضرورة أن الله سبحانه ذم المسيئين ومدح المحسنين وليس ذلك إلا لقبح السيئة ومدح الحسنة فإذا كان هو سبحانه الفاعل لذلك قبح الذم والمدح بالضرورة ولكان المحسن أولى بالإساءة من المسيء لأن الإحسان إنما أجري فيه من غير اقتضائه وطلبه بل كان يطلب الإساءة ويقتضيها، إلا لم يكن الجبر، ولكان المسيء أولى بالإحسان من المحسن لما ذكرنا ولا ظلم أعظم من أن يجعل الشخص كافرا ثم يحرقه بالنار ويعذبه بأنواع العذاب لأنه كفر، ويجعل الشخص مؤمنا ثم يثيبه ويمدحه ويدخله الجنة وينعم عليه بأنواع النعم، ولا جهل أعظم من أن يكلف أحدا ما ليس في وسعه أويكلف ما لا يسعه خلاف، ولا كذب أعظم من القول بعد ذلك ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾[1] فإن نسبة الفعل إلى غيره وهوالفاعل لذلك الفعل كذب وافتراء تعالى الله سبحانه عما يقوله الملحدون والمشبهون علوا كبيرا.

وإذا نظرت إلى دليل الموعظة الحسنة وجدت فساد هذا القول لأن الله سبحانه كامل مطلق وقادر مطلق يجب أن يجري فعله على أحسن الكمال

---

(١) البقرة ٧٩

لئلا يقول أحد لو كان كذا لكان أحسن، فإذا كان كذلك فلا شك و لا ريب أن إجراء فعله على جهة الاختيار وجعل المخلوقين مختارين ذوو شعور وإدراك واختيار وإرادة أولى وأحسن من أن يجعلهم مجبورين، ولا ريب أن المختار أشرف من المضطر المجبور فيجب أن يختار المختار لا المضطر ويجري فعله ومفعوله على جهة الاختيار إذ لا شك أنه قادر على ذلك ومتمكن منه.

وأما دليل الحكمة فاعلم أن الجبر لا يمكن تصوره والتعبير عنه لأن الإيجاد يستحيل من غير الانوجاد فإذا قلت أن الله سبحانه أوجد هذا الشيء فهل هو انوجد أم لا فإذ لم ينوجد لم يوجد وإذا انوجد وجد والضمير في الانوجاد يرجع إلى الشيء المخلوق لا إلى الفاعل الخالق كما في قوله تعالى ﴿كُن فَيَكُونُ ۝١١٧﴾ [1] فإن الضمير الفاعل في فيكون يرجع إلى الشيء ولا يرجع إلى المكون ضرورة إذ لا ريب أن الشيء حين حدوثه يكون له جهتان، جهة إلى نفسه وبها تحكم عليه وتشير إليه وتقول هو، وجهة إلى ربه وبها تسنده إلى خالقه وتجعله أثرا ولا تجري عليه حكم التمييز، ومن نسبة هاتين الجهتين واقترانهما حصل الاختيار للشيء المركب من هاتين الجهتين وهما الضدان في قوله تعالى ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [2] وقول مولانا الرضا عليه السلام (إن لم يخلق شيئا فردا قائما بنفسه دون غيره للذي أراد من الدلالة على نفسه وإثبات وجوده فالله تبارك و تعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه ولا يعضده

(١) البقرة ١١٧.

(٢) الذاريات ٤٩.

و لا يكنـه و الخلق يمسـك بعضـه بعضا بإذن الله ومشـيته وهو قوله تعالى ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1] الحديـث فـإذا حصل الاختيـار بطل الاضطرار لأن الانوجاد مـن باب المطاوعة لا المكرهة فبطل الجبر إذن.

معنى التفويض

وأما التفويض فهو القول بأن الله سبحانه خلق الخلق وهيأ لهم الأسباب والآلات والاختيـار والشـعور والإدراك والقدرة عـلى الفعل وعدمه ثم فـوض الأمر إليه يعني رفع يده عـن المكلف كالوكيل فإنه يجعل الموكل له كلـما يحتاج إليه ثم يرفـع يده عنه فهويفعل وإن كان فعلـه بأمر الآمر لكن حـال الفعل ليس للآمر تسـلط عليـه، أي ليس حين الفعـل بيده وإنما هو معـزول عنه كما في مثـال الوكيل والموكل، وذلـك في البطلان بمكان لأنه يسـتلزم اعتزال الحق سبحانه عن ملكه واسـتغناء الممكن حين الفعل عن خالقـه وإن كانـت آلات الفعل كلها به لأن الوكيل حين الفعل ليس في يد الموكل وإنما هو مستقل وإن كان بأمره وحكمه، ومثل العبد حين يقول له سـيده افعل الأمـر الفلاني فإنه حين فعله له خارج عن يد السـيد وإحاطة قدرته كما هو المعلوم، وإذا صح اسـتغناء الممكن عن الله سـبحانه في حالة صح في كل الأحوال.

---

(١) بحار الأنوار ج٥٤ ص ٥٢.

الأمر بين الأمرين

وأما سر الأمر بين الأمرين فهو وإن كان من أصعب ما يرد على العلماء إلا أن الإشارة إليه في قوله تعالى في الحديث القدسي وذلك :(إني أنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني)[1] انتهى، وذلك أن الطاعة نور مقصود لذاته فيتعلق به الجعل الإلهي بالذات، والمعصية ظلمة مقصودة بالعرض فيتعلق به الجعل بالعرض لقوام الطاعة وتحققها فالطاعة من العبد بالذات قائمة بمشية الله لها بالذات، والمعصية من العبد بالذات قائمة بمشية الله لها بالعرض، يعني أن الله سبحانه حافظ لفعل العبد في كلتا الحالتين أي في حالة الطاعة وحالة المعصية فلو رفع حفظه عنه انعدم وفنى لا يقدر على الطاعة ولا على المعصية فيبطل اختياره فالله سبحانه يحفظ فعله إذا أطاع ويوافق ذلك الفعل محبة الله سبحانه.

ولما كانت الطاعة هي النور والخير فكانت منسوبة إلى الله سبحانه لأنه المقصود بذاته في الإيجاد ولكنه لا يظهر إلا بالعبد فالطاعة والنور من الله وإليه لكنهما بالعبد، وكذلك يحفظ فعله حين المعصية لكن بالتخلية والخذلان ليبقى الاختيار فهي راجعة إلى العبد ومنه وإليه لكنها بالله سبحانه فكان الله سبحانه أولى بالطاعة والعبد أولى بالمعصية وإن كان لكل منهما مدخلية ومثال ذلك الشمس لما أشرقت على الجدار ظهر النور ووجد خلفه الظل فلولا الشمس لم يكن النور ولا الظل فهما موجودان

---

(١) الكافي ج١ص١٥٢-بحار الانوار ج٥ص٤-تفسير العياشي ج١ص٢٥٨-تفسير القمي ج٢ص٢١٠-التوحيد ٣٣٨-عيون اخبار الرضا ج١ص١٤٣-فقه الرضا ٣٤٩-قرب الاسناد١٥١-كشف الغمة ج٢ص٢٨٩.

بها ومتحققان بفاضل ظهورها لكن النور من الشمس وهو المقصود لذاته في إحداث الشمس إياه ولو لم يكن الجدار لم يظهر ذلك النور أبدا فكان الجدار له مدخلية في الاستضاءة ويرجع المدح إليه حيث أنه قبل عطية الشمس على ما ينبغي ولكن الشمس حين ما أعطته النور لم ترفع يدها عنه فالنور في الجدار أيضا متقوم بالشمس حال كونه فيه ولكن قابلية الظهور من الجدار حسب ما أعطته الشمس، وأما الظل فهو وإن كان متقوما بالشمس ومحفوظا بها لكنه لا ينسب إلا إلى الجدار ولا يرجع إلا إليه والشمس إنما حفظته بحكم التخلية والخذلان حسب ما سأل الجدار بلسان فقره إياها لتحدث له ذلك، فالجدار أولى بالظل من الشمس فتقول الشمس للجدار أنا أولى بالنور منك وأنت أولى بالظل مني، والمراد بالجدار نفس قابلية النور المتشعشع من الشمس الظاهرة في هذا الجسم الكثيف فافهم إن كنت تفهم.

والذي ذكرنا إشارة يسيرة وشرح حقيقة الحال ما يمكن في هذه العجالة مع أن هذه المسألة من أسرار القدر الذي أمرنا بالكف عنه ولو يسر الله لنا مشافهتكم لألقينا إليكم من هذه الجواهر المكنونة المخزونة أعلاها وأثمنها إلا أن فيما ذكرت بالإشارة كفاية لمن طلب الهداية وجانب العناد واللجاج والله الموفق للصواب .

أول الوجود

قال سلمه الله تعالى: المسألة العاشرة ما أول الوجود ومراتبه ومحله

أقـول قال مولانا الرضا (عليه السـلام): ما معناه أن الله أول ما خلق الاخـتراع والابتداع ثم خلق الحروف فجعلها فعـلا منه يقول للشيء كن فيكون.

اعلم أن كلما سوى الله سبحانه مخلوق به وصادر عنه وليس شيء سواه لم يكـن مخلوقـا بالضرورة، فـإذا كان كذلك فالله سـبحانه يقـول له الخلق والأمر وهوجامع لكل الموجودات سـواه تعالى، والأمر هو عالم الاختراع لأن هـو الخلق لا عـن مادة وصورة فلوسـبقه خلق لكان السـابق مادة له إمـا بذاته أوبنـوره فلم يصح الاخـتراع حينئذ والأمر هو الإرادة والمشـية لقول مولانا الرضا عليه السـلام (إرادته إحداثه لا غير لأنه لا يروي ولا يهـم ولا يفكر وإنـما يقول للشيء كن فيكون بلا لفـظ ولا كيف لذلك كما أنـه لا كيف له)[1] رواه في الكافي وقال سـبحانه ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2] فجعـل الأمـر هـو قـول كن وبـه قامت السـموات والأرضـون كما قال عـز وجل ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ

---

(١) في الكافي ج١ ص ١٠٩ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ قُلْتُ لأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِرَادَةِ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ الْخَلْقِ قَالَ فَقَالَ الْإِرَادَةُ مِنَ الْخَلْقِ الضَّمِيرُ وَمَا يَبْدُو لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْفِعْلِ وَأَمَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِرَادَتُهُ إِحْدَاثُهُ لَا غَيْرُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يُرَوِّي وَلَا يَهُمُّ وَلَا يَتَفَكَّرُ وَهَذِهِ الصِّفَاتُ مَنْفِيَّةٌ عَنْهُ وَهِيَ صِفَاتُ الْخَلْقِ فَإِرَادَةُ اللَّهِ الْفِعْلُ لَا غَيْرُ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ بِلَا لَفْظٍ وَلَا نُطْقٍ بِلِسَانٍ وَلَا هِمَّةٍ وَلَا تَفَكُّرٍ وَلَا كَيْفَ لِذَلِكَ كَمَا أَنَّهُ لَا كَيْفَ لَهُ

(٢) يس ٨٢

أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[1] على أحد المعاني وقال مولانا الصادق عليه السلام: (كل شيء سواك قام بأمرك)[2] فليس فوق أمره تعالى شيء إذ كان كل ما سواه قائم به وإلا لما صحت الكلية، والمشية والإرادة هما الاختراع والابتداع كما قال مولانا الرضا عليه السلام: (المشيئة والإرادة والإبداع معناها واحدة وأسماؤها ثلاثة)[3] فصح أن أول الصادر منه تعالى وأول الحوادث المشية فلما كانت أقرب الأشياء إلى المبدأ حتى كانت واسطة في إيجاد الكاينات وهويات الموجودات وجب أن تكون أشرف الذوات وأقواها وأعلاها وأعظمها لأن الذوات إنما تذوتت والأشياء إنما تأصلت بها، فنسبة الأشياء إليها نسبة القيام والقعود إليك فلا يتوهمن متوهم أنها أمر اعتباري أونسبة إضافية، ضرورة أن كلما قرب إلى المبدأ أقوى وأعظم وأنور مما بعد عنه فإذا كانت هي أول الأشياء كانت أقرب فكانت أنور وأعظم تحققا وتأصلا ووجودا، وإنما هي ذات إلهية وحقيقة صمدانية خلقها بنفسها وأقامها بنفسها وأمسكها بظلها ولها أسماء حسب جهات ظهوراتها وأطوارها في شئوناتها وإلا فهي من حيث هي أعلى من الاسم والرسم والصفة وقد استعمل أئمتنا عليهم السلام لها أسماء بحسب تلك الإضافات ولا بأس بالإشارة إلى بعضها ووجه التسمية بالوجه الأخصر.

---

(١) الروم ٢٥

(٢) بحار الانوار ج٨٧ص١٤٨-البلد الامين ٩٧-مصباح المتهجد ٤٣١

(٣) بحار الأنوار ج١٠ ص ٣١٤

فنقـول إن تلك الذات المقدسـة من حيث أنها جهة الله سـبحانه وذكره ومذكوريته في الإمكان سميت ظهورا وتجليا أوليا، ومن حيث أنها ظهوره سبحانه لغـيره وموصل فيضه إلى ما يريد من خلقه سـميت فعلا وحركة إيجادية، ومن حيث أنها ظهوره لها بها ولغيرها سـميت فاعلا، ومن حيث أنها أول الذكر والمذكور وبها نشأت الأشياء وتأصلت سميت مشية، ومن حيث أنها مبدأ الصور والأعيان سـميت إرادة، ومن حيث أنها تكونت لا من شيء سميت اختراعا، ولا لشيء ولا على احتذاء مثال سميت ابتداعا، ومـن حيث أنها أول مظاهر الحق سبحانه وظهوراته في الإمكان سـميت التعـين الأول، ومـن حيث أنهـا الأصل المتشـعب عنه الحـدود والجهات والحيثيات سـميت شـجرة مباركـة زيتونة، ومـن حيث أنها مبـدأ الإيجاد وعلتـه وأول الميـل سـميت محبة، ومن حيـث أنه بها الإحسـان والامتنان أومن أثرها الماء الذي به كل شيء حي سميت رحمة، ومن حيث أنها تدبير الحـق للخلق في الخلق والآخذة بزمام كل شيء وبناصية كل دابة سـميت ولاية مطلقة، ومن حيث أنها لا غاية لأولها ولا نهاية لأمدها وهي منقطعة ومضمحلـة لهـا أول وآخر عند بارئها سـميت أزلا ثانيـا، ومن حيث أنها أول ظهـور الحق سبحانه سـميت صبحـا وهو صبـح الأزل، ومن حيث أنهـا أول الأصول وأصلها وغايتها سـميت آدم الأول، ومن حيث أنها لا تتوقف في تكونها وانصدارها على شرط وسبب سوى ذاتها سميت الوجود المطلـق، ومن حيث أن كل الظهـورات والتجليات الإلهية إنما هي بفاضل تجليه لها سـميت الاسـم الأعظم، ومن حيث أنهـا متممة لحقايق الإمكان

والأكوان ومتممة لنفسها بنفسها بالله سبحانه سميت الكاف المستديرة على نفسها، ومن حيث أنها علة العلل ومبدأ المبادي سميت السر المقنع بالسر والمجلل به، ومن حيث أن الماء الواقع على أرض الجرز إنما نشأ منها وصدر عنها وتأصل بها سميت سحابا، ومن حيث أنها اللفظ الصادر عن فعله بنفسها سميت كلمة، ومن حيث أنها حكم الله على الموجودات سميت أمرا، ومن حيث أنها المادة الظاهرة بمحلها وصورتها الظهورية سميت الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله، ومن حيث أنها المستديرة على نفسها وقطب لما سواها سميت فلك الولاية المطلقة، ومن حيث أنها الذكر الأول للأشياء سميت علما، ومن حيث أنها بها استولى الله سبحانه على الأشياء كلها واستطال عليها سميت قدرة، ومن حيث أنها بها ظهور مواد الخلق وتأييداتهم من عند الله سبحانه سميت عرشا، وغيرها من الأسماء والصفات التي يطلع عليها الفطن الماهر في استعمالات حفظة الشريعة عليهم السلام.

وبالجملة فهذه الحقيقة المقدسة بهذه الأسماء المباركة وغيرها من أمثالها هو أول الوجود على جهة الإطلاق في عالم الخلق والحدوث لأن العالم يقوم بفعل ومفعول، والمقصود من الفاعل هو الله سبحانه والفعل هو هذه الحقيقة المشار إليها والمفعول حقائق الموجودات وذوات الكائنات من العقل الأول الكلي إلى آخر المراتب السفلية من مراتب الوجود، ولما كان الفعل لا يظهر بل لا يوجد إلا بالمتعلق والمحل وهوالمعبر عنه بالانفعال والانوجاد وكان ذلك المحل والمتعلق هو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه

وآله فيكون بها تمام الفعل والمشيئة، كانت الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله أول الوجودات والموجودات والمحل يجب أن يكون من سنخ الحال وإلا ارتفعت المناسبة فامتنعت المحلية فافهم.

ولهذه الحقيقة المقدسة إطلاقان في مقامين مقام الإجمال ومقام التفصيل، ففي المقام الأول يراد بها مجموع قصبة الياقوت وهم الأربعة عشر المعصومون عليهم السلام، وفي المقام الثاني يراد بها خصوص نبينا صلى الله عليه وآله ففي المقام الأول لما كانوا عليهم السلام هم الكلمة العليا وكلمة التقوى وكلمة التوحيد كانت لهم أربع مراتب.

مقام الإجمال للحقيقة المقدسة

الأولى: مقام النقطة في الكلمة وهي أصلها وبدوها منها نشأت الكلمة وإليها تعود وهي مقام السر المقنع بالسر ومقام الباطن وحق الحق والظهور المطلق والعلم الإطلاقي والنور الاشراقي مقام العزة والقدس والسبحان وهو مقام نبينا صلى الله عليه وآله.

الثانية: مقام الألف في الكلمة وهي بدوانتشارها وانبعاثها وظهورها بالدلالة، ومقام السر المستتر بالسر ومقام الباطن من حيث هو باطن ومقام حق الحق مبدأ التفصيل ومظهر التقدير ومحل الإرادة ورتبة الحمد لله وهو مقام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، ولذا اختص هذا الاسم به دون الخلق كلهم أجمعين.

الثالثـة: مقـام الحـروف العاليـات في الكلمـة وهي تمام القـدر وظهور الهندسـة وبـروز الأحـكام التفصيلية وسر الأمر بـين الأمرين وسر الأمر بـين الكاف والنـون ومقام الظاهر ومرتبة سر الـسر وباطن الظاهر ومقام التكبير وظهور القول لا إله إلا الله وهومقام سائر الأئمة عليهم السلام ما عدا علي عليه السلام.

والرابعة: مقام تمام الكلمة ومبدأ ظهور الدلالة ومقام الظاهر من حيث هـو ظاهـر ومبدأ القضا وينبوع علل الأشـياء آخر المبـادي ومقام الله أكبر وهومقـام فاطمة الصديقة الطاهرة على أبيهـا وبعلها وبنيها وعليها آلاف الثناء والتحية.

فالأولى مقام المشـيئة والثانية مقـام الإرادة والثالثة مقام القدر والرابعة مقام القضاء، والأولى مقام النقطة من بسم الله الرحمن الرحيم والثانية مقام البـاء منها والثالثـة مقام حروفها والرابعة مقام تمـام الكلمة المباركة، ولهم أيضا عليهم السـلام مراتب أخر بحسـب إجابتهم لداعـي ربهم وترتبهم في ذلك، فأول المراتب وأعلاها وأشرفها وأسناها مقام نبينا صلى الله عليه وآله لأنه أول من أجاب حين قال له(ألسـت بربكم) والثانية مقام مولانا أمـير المؤمنين عليه السـلام لأنه عليه السـلام ثاني من أجـاب فكان للنبي لـواء الحمد وعلي عليهما السـلام حامل اللواء، فله مقـام الألف وله مقام البـاء صـلى الله عليهما قال النبي صـلى الله عليه وآله (ظهـرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم)، والثالثة مقام مولانا وسيدنا الحسن عليه السلام فشابه جده صلى الله عليهما في الظهور الإجمالي والرابعة مقام مولانا

وسيدنا أبي عبد الله الشهيد عليه السلام فشابه أباه في الظهور التفصيلي فأظهر الدين وكان من نسله الأئمة الميامين سلام الله عليهم أجمعين، والخامسة مقام سيدنا ومولانا حجة الله القائم بالحق عجل الله فرجه وسهل مخرجه ولذا كان هو عليه السلام الآخذ بثاره لأنه حامل ظهور الله للخلق بعده والمجيب لداعي ربه حين قال (ألست بربكم) والسادسة مقام الأئمة الثمانية الآخرين سلام الله عليهم أجمعين لأنهم في مقام واحد ورتبة واحدة على ما يستفاد من الأخبار، والسابعة مقام الصديقة الطاهرة عليها السلام لأنها آخر مراتب المبادي.

ولما كانت مقاماتهم ومراتبهم الذاتية سبعة كانت أسماؤهم الشريفة سبعة فلما ثنيت صارت أربعة عشر وهو قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1].

مقام التفضيل للحقيقة المقدسة

وهم عليهم السلام في المقام الثاني أي مقام التفصيل مراتب ومقامات إذ لكل منهم عليهم السلام أربع مقامات.

الأولى مقام البيان وهو مقام التوحيد وهم عليهم السلام في هذا المقام أسماء الله الحسنى وصفاته العليا والمثل الأعلى كما قالوا عليهم السلام (نحن الأسماء الحسنى التي أمركم الله أن تدعوه بها)[2]، وفي الزيارة

---

(١) الحجر ٨٧

(٢) الكافي ج١ ص ١٤٣ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّار عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها قَالَ نَحْنُ وَ اللهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنَ الْعِبَادِ عَمَلًا إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا

(السلام على اسم الله الرضي)[1] كما تقدم وفي الدعاء (فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر ألا إله إلا أنت)[2].

الثانية مقام المعاني كما قال الباقر عليه السلام : (أما المعاني فنحن معانيه ونحن علمه ونحن حكمه ونحن أمره ونحن حقه) الحديث، وكذلك سائر معاني الصفات كالعظمة والقدرة والرحمة والجلال والجمال والكبرياء وأمثالها.

الثالثة مقام الأبواب مقام الترجمة والوساطة من الله إلى الخلق في الوجودات الشرعية والشرعيات الوجودية والذوات والصفات والألفاظ والمعاني وغيرها، ومن الخلق إلى الله سبحانه في استمداداتهم واستفاضاتهم وجهات افتقارهم إليه سبحانه كما قالوا (عليهم السلام) : في عدة أخبار (نحن أبواب الله وخزان علمه ومفاتيح رحمته ومقاليد مغفرته).

الرابعة مقام البشرية الظاهرية ومقام ﴿ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾، ﴿ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾، فإذا لوحظت هذه الأربعة في أربعة عشر تبلغ ستة وخمسين.

مقامات المعصومين في ظهور التوحيد

ولهم أيضا عليهم السلام مراتب ومقامات في ظهور التوحيد لهم ولغيرهم حين كونهم مقامات الله وآياته وعلاماته التي لا تعطيل لها في

---

(١) بحار الأنوار ج ٩٧ ص ٢٤٥.

(٢) البلد الأمين ١٧٩

كل مكان وقد علمت أن الحوادث كلها يجمعها الفعل والمفعول والفعل قد عرفت أن له أربع مراتب كما تقدم والمفعولات كلها تدور على أمر واحد كما قال عز وجل ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[1] وقال: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾[2] وقال ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾[3] فتكون مراتب الخلق كلها خمسة، أربعة مراتب الفعل وواحد رتبة المفعول وظهور الحق سبحانه للخلق بالخلق فيكون ظهور التوحيد في كل مرتبة على حسبها كما قال عز وجل ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ﴾[4] فيكون ظهور التوحيد أيضا خمسة، الأول ظهور الباطن والثاني ظهور الباطن من حيث هو باطن والثالث ظهور الظاهر والرابع ظهور الظاهر من حيث هو ظاهر والخامس نفس الظهور.

ولما كانت الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله محل جميع المظاهر وحامل كل الظهورات كما قال عز وجل في الحديث القدسي: (ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)[5] كانت هذه المراتب مجتمعة في كل من الأئمة عليهم السلام فترتقي المراتب بإضافة هذه المراتب الخمسة إلى الأربعة عشر إلى السبعين ولذا وضعت لهم كلمة (كن) فافهم.

---

(١) النساء ١

(٢) القمر ٥٠

(٣) الملك ٣

(٤) البقرة ١٤٨

(٥) بحار الانوار ج٥٥ ص٣٩-عوالي اللالي ج٤ ص٧

ولهم أيضا عليهم السلام مراتب بحسب الظهورات الفعلية التي هم عليهم السلام محلها ومعدنها وأصلها وينبوعها يطول الكلام بذكرها وذكر أحوالها وفيما ذكرنا كفاية لأولي الدراية.

محل الذات المقدسة ورتبتها

وأما محل تلك الذات المقدسة ورتبتها بمراتبها ففي المقام الأعلى محلها الإمكان الراجح وفي المقام الأسفل الأعلى محلها الوجود الراجح من قوله تعالى ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾[1] وهويشمل المقامين ويعم المنزلتين ولذا ظهروا عليهم السلام في كل ذرة من ذرات الإمكان والأكوان والأعيان.

وإذا سألت عن الوقت فاعلم أن وقتهم الأولي السرمد المحيط بكل الدهر والزمان وهو الأزل الثاني في قوله عليه السلام: (أنا صاحب الأزلية الأولية) وفي رواية (أنا الأزلية الثانية) وهذا الأزل بالنسبة إلى أزل الآزال فان باطل مضمحل وهوسبحانه وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى.

قال سلمه الله تعالى: المسألة الحادية عشرة هل الكليات الثلاثة من المنطقي والعقلي والطبيعي موجودة في الخارج أم لا؟.

---

(١) النزر ٣٥

بحث في الكليات الثلاث

أقـول: اعلـم أن القوم اتفقوا على أن الكلي المنطقي والعقلي لا يوجدان في الخارج وإنما هما في العقل فحسـب، أما الكلي المنطقي فلأنه هو المفهوم أي ما لا يمتنع فرض صدقه على كثيرين وكلما في الخارج محدود متناه، وأما العقـلي فلأنه مجموع العارض والمعـروض فلا يمكن وجوده في الخارج إذ لا يمكن وجود أحد أجزائه فيه ولذا قالوا أن المركب من الداخل والخارج خـارج، وإنـما اختلفـوا في الـكلي الطبيعـي فقال قـوم موجـوده في ضمن الأفراد وقال الآخرون بعدمه وإنما الموجود أفراده وأشخاصه لا ذاته وإنما هـو أمر اعتباري انتزاعي فـلا وجود له ولهم على ذلك أدلة اخترعوها بل اقترحوها.

أقـول: أما على القول بأن الـكلي الطبيعي موجود في الخارج فلا مناص عـن القـول بوجود أخويـه لأن الـكلي الطبيعي هـو الحقيقة السـاذجة لا بـشرط الغير الملحوظة فيها العموم والخصوص، والكلي المنطقي ملاحظة صلاحيتـه للعموم وللكثرة، والعقلي إثبات هـذه الصلاحية له فلولم تكن هـذه الصلاحية ثابتة لتلك الطبيعة كان إثباتها لها كذبا ومنه يلزم أن يكون القـول بالـكلي المنطقي كذبا والضرورة تقضي ببطلانـه، مثلا إذا أردت أن تقول زيد (قائم) فتلاحظ زيدا أولا مع قطع النظر عن جميع خصوصيات الصفـات، ثـم تلاحظ (القيـام) صفة ثانية، ثـم تلاحظ نسـبة القيام بزيد ثـم تحكم على زيـد بالقيام، فلولم يكـن زيد صالحا للقيـام قبل ملاحظتك كانـت ملاحظتـك إياه كذبـا وباطـلا وكان إخبارك بذلـك أيضا كذلك،

فـإذا قلت الإنســان كلي بمعنــى لا يمتنع فرض صدقه عـلى الكثيرين فقد لاحظت تلك الطبيعـة أولا مجردة عن كل القيود من العموم والخصوص والكلية والجزئية ثم لاحظت معنى صدقه على كثيرين ثم لاحظته فوجدته صالحا لذلك في الواقع سـواء لاحظتـه أم لا كما في القيام ثم حكمت عليه بذلـك، فإن كان قولك الإنسـان كلي بهذا المعنى صدقـا يجب أن لا يكون منوطـا بذهنـك وبعقلـك بل يكـون موجـودا وموصوفـا بالكلية سـواء فرضـه الفـارض أواعتبره المعتـبر أم لا، وإلا فيجب أن لا يكون الإنسـان كليـا، أم إذا لم يتصوره متصور ولم يتعقلـه متعقل فحينئذ يكون القول بأن الإنسـان كلي في الواقع كذبا فتكون هذه القضيـة من القضايا الكاذبة مثل الخمسة زوج إذ ليس لها وجود واقعي إلا ما اخترعه في الذهن فانتقش في الخارج للحكم الوضعي عند أهل الأصول فيجب أن يصدق أن الإنسان ليـس بكلي في الواقع والفـرق بين القضايا الذهنيـة والواقعية على ما قالوا هو أن النسـبة الحاصلة الثابتة بين المنتسـبين إن كانت حاصلة ثابتة سـواء فرضهـا الفـارض واعتبرها المعتـبر أم لا فالقضية واقعيـة، وإن لم يكن لها تحصـل إلا في الذهــن ارتفع الذهن بطلت القضية كانت ذهنية، ولا شـك أن حقيقة الإنسـان وطبيعة ذاته وكونه صالحـا للتقييد بالقيود الكثيرة لولم تكن موجودة ثابتة وإنما هي محض اختراع الذهن كان الحكم عليه بالكلية الواقعية باطلا فاسدا كالحكم على الخمسة بأنها زوج والبديهة تحكم بفساد هذا القول.

والحق في المسألة أن الكلي الطبيعي موجود في الخارج وجودا حقيقيا ثابتا مستقلا لكن في مقام ورتبة فوق رتبة الأفراد والأشخاص وله ظهور في الأفراد كظهور الماء في الأشجار والأحجار وسائر المعادن والحيوانات والإنسان، وكذلك الكلي المنطقي والعقلي، بل هذه الكليات أشد تحققا وتأصلا من الأفراد والجزئيات، لكن لما كان جهة الانجماد والكثرة في الأفراد غالبة تأصلت عند أهل الانجماد وخفيت تلك الحقايق والكليات في أبصارهم وأعينهم لأن الأشياء كلها إنما صدرت من المبدأ الحق سبحانه وتعالى بجميع مراتبها، وقد دل الدليل العقلي والنقلي أن كل أثر يشابه صفة فعل مؤثره وفعل الله سبحانه في كمال الشمول، والانبساط والإحاطة والقيومية فوجب أن يكون أول ما يتعلق به الفعل في كمال الانبساط والإحاطة والشمول ثم ذلك الأمر الواحد العام الكلي بحسب تلاحق الصور والأعراض والحدود والمشخصات تتقيد وتتحصص إلى أن يصير شخصا واحدا لا يشمل غيره فينجمد بعدما كان ذائبا فأول ما يبرز عن المبدأ هي طبيعة ساذجة وذات بلا اعتبار وشرط وبها تحكي ظهور التوحيد الإلهي الغير المشوب بشيء من أنحاء الكثرات وحدود الإنيات، ثم بعد ذلك يذكر فيها صلوحه للتعين بالحدود المشخصة الغير المتناهية، ثم بعد ذلك تلاحظ تلك الطبيعة من حيث صلوحها للكثرات، ثم بعد ذلك تلاحظ تلك الطبيعة مع حد واحد من تلك الحدود والمشخصات فتتشخص بالتشخص الخاص ولذا تجد كلما هو أقرب إلى المبدأ كان انبساطه وشموله أكثر مما هو أبعد، انظر إلى بسائط العناصر كيف لا يمتنع

فـرض صدقـه على كثيرين فتصـدق على كل مذروء ومـبروء من العناصر وهـي موجـودة في الخارج بل في الأجسـام والذهن مـرآة وعين بها تدرك الأشـياء الغيبية كالعين الحسـية فلا تدرك إلا ما هـو موجود في الخارج في خزايـن الله تعـالى كـما قال عـز وجـل ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ﴾[1] كـما أنـك مـا ترى ببـصرك إلا الموجـود في الخـارج كذلك ما ترى بذهنك فإنه في الخارج بحسـب عالمه لأن الأدوات إنما تجد أنفسها والآلات إنما تشير إلى نظايرها.

والعـالم عالمـان عالم الغيب والشـهادة، فكـما أن الله سـبحانه جعل لك لإدراك عالم الشـهادة آلات وأسـبابا بها تنظر إليهـا وتدركها كذلك جعل لعـالم الغيب أسـبابا وآلات فـما تدركه بذهنـك وهو موجـود في الخزاين الغيبية كالحواس الظاهرية فلا تتوهم أنك لا تدرك شـيئا وليس لها وجود في الخارج في الخزاين، إلا أن الخزاين على قسمين غيبية وشهودية والحسنى و(السـوءى) فـكل الكواذب في الخزائن السـوءى فالأعـدام والممتنعات التـي تدركها كلها إمكانات ووجودات إمكانية تسـميها أعداما في الكون وقـد قال مولانـا الصادق عليه السـلام :(كلما ميزتمـوه بأوهامكم في أدق معانيـة فهومخلـوق مثلكم مردود إليكـم)[2]، وقال الرضا عليه السـلام : (لم يتصـور أحد شـيئا إلا وقـد خلقه الله قبل ذلك حتـى لا يقال لم لم يخلق ذلك) وقال الصادق (عليه السـلام) عند اختلاف زرارة وهشام في النفي

---

(١) الحجر ٢١

(٢) بحار الأنوار ج٦٦ ص ٢٩٢.

فقال هشـام النفي شيء وقال زرارة النفي ليس بشيء قال (عليه السـلام) لزرارة: قل بقول هشـام في هذه المسألة وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنما تحد الأدوات أنفسـها وتشـير الآلات إلى نظايرها)، وأمثال ذلك من الأخبـار كثـيرة فاعرف ممـا ذكرنا وأشرنا إلى نـوع الدليـل أن كل شيء مما حوته دائرة الإمكان مما تعقله وتدركه وتخيله وتصوره وتتوهمه وتحسه كل ذلك موجود بوجـود مغاير لوجودك وأنت إنما انتزعته إلى ذهنك كانتزاع المـرآة الصـورة عن المقابل وقـد أقمنا على ذلك براهين قطعيـة من العقلية والنقلية في كثير من رسائلنا ومباحثاتنا وأشرنا إلى نوعها ههنا، فخذه وكن من الشـاكرين وقس عليه حال الكليات الثلاثة مع أن تلك الكليات على ما ذكرنا لك هي أشد تحققا وتأصلا من الأشخاص والأفراد والكلي مادة بحصة وظهور حقيقته للجزئي، والجزئي جزء والكلي كل فافهم راشدا .

تعريف العقل وكيفية إدراكه

قـال سـلمه الله تعـالى: المسـألة الثانية عشرة مـا تعريـف العقل وكيف إدراكه؟

أقـول: العقـل نور إلهي بدأ من الاخـتراع الأول جوهر مجرد عن المادة الملكوتية والجسـمانية والشبحية البرزخية وعن المدة المقدارية المثالية والمدة الزمانيـة أول نـور مشرق مـن صبـح الأزل وآدم الثالـث وأول ولد تولد من آدم الثاني الذي هو الوجود المقيد أعني الماء النازل من سـحاب المشـية الـذي به كل شيء حي، ومن حوائـه أرض الجرز أرض القابلية أي الماهية

الأولى وهو أول غصن أخذ من شجرة الخلد وهو القلم في قوله تعالى ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[1]، وهو الطور وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش وهو النور الأبيض الذي منه ابيض البياض وهو روح القدس وهو الملك المسدد للأنبياء وهو العمود من النور الذي به يرى الإمام عليه السلام أحوال الخلايق وهو النفس الرحماني الثالثي وهو عبد من عباد الله قائم في طاعة الله صورته هيكل التوحيد وصفته الرضا والتسليم ومقامه الركوع وطبيعته البرودة واليبوسة في ظاهر ذاته وعمله، والبرودة والرطوبة في ظاهر فعله، والحرارة واليبوسة في أصل ذاته، وإدراكه المعاني الكلية المجردة عن الصور النفسية والمثالية والجسمية ودليله الموعظة الحسنة وسبيله اليقين وطريقته التقوى وعلم الطريقة وصفته الاستقامة ومكانه كل الممكن المكون الموجود بالوجود الكوني ووقته الدهر وهو الوقت الثابت المستمر الذي يجمع المختلفات ويفرق المجتمعات الزمانية، ولونه البياض في صفته والسواد في ظاهر ذاته والحمرة في باطن حقيقته، مقبل على الله عز وجل فلما خلقه الله سبحانه قال له أقبل فأقبل فأظهر الله سبحانه بإقباله الذي هو إدباره عنه حقايق الأكوان ومستجنات غيوب الأعيان، ففي كل مرتبة نازلة أظهر قشره واستتر في لبه إلى أن ظهرت القشور المتراكمة وخفي اللب المقصود بالحقيقة ثم أمره سبحانه بالإقبال فكان إقباله بحسب الأسباب الظاهرية والباطنية فظهر بظهور الأسباب عند بلوغ الولد أوان الحلم فهناك أول

---

(١) القلم ١

ظهوره ومقام كمال الولد فيتكلف ليكون سببا لكمال الظهور ومستشرقا بشوارق النور والظهور فهو في أول ظهوره عقل بالملكة أي بالاستعداد والتهيؤ القريب إلى الفعل بكمال الظهور وإلا فهو فعلي فإذا قوي في العلم والعمل كان عقلا بالفعل أي تكون جميع مداركه وأحواله حاضرة لديه وهوناظر إلى جميع الأحوال السفلية ومطلع على جميع مراتب الوجودات المقيدة، وإذا قوي أيضا بالعلم والعمل كان عقلا مستفادا فيعود إلى بدئه ويحصل له الاتصال بعالم اللانهاية فيقف حينئذ على باب فوارة النور فلا غاية لإدراكاته ولا نهاية لظهوراته، وهذا هو العقل الكلي في العالم الأكبر، والعقل الجزئي في كل فرد وشخص من أفراد الإنسان أوما هو يعم الكل من أفراد الموجودات كما هو الحق وهذا عليه مدار التكليف والسعادة والشقاوة والثواب والعقاب.

ولما كان كل شيء مركبا من النور والظلمة متعادلان متعاكسان في الفعل وكان للعقل أيضا ضد وهي ماهيته لكنها ضعيفة مغلوبة لتراكم الأنوار فيه لكونه من الخلق الأول ولكن العبد إذا انهمك في المعاصي وأعرض عن الله عز وجل وخالف أوامره ونواهيه وبادره بالعصيان والطغيان يضعف ذلك النور ويخفى، وبقدره تقوى تلك الظلمة وتظهر إلى أن يذهب النور بالكلية ولم يبق له أثر وتأثير إلا بقدر ما يمسك الوجود وتستقل الظلمة وتقوى ويكون لها التأثير والأثر فينقلب ذلك النور الذي به عبد الرحمن واكتسب الجنان إلى النكراء والشيطنة، يعني يخفي ذلك وتظهر هذه، فيبقى للشخص حينئذ إدراك وتمييز ويدرك الكليات ويفهم

الدقايـق ويقع عليه التكليف لكنه لا يميل إلى الخير ولا يحبه ولا يقبل على الله عز وجل ولا على أوليائه وإنما هو يبغضهم ويكرههم وهذا معنى قوله عليه السـلام لما سـئل عن العقل قال (عليه السـلام) : (ما عبد به الرحمن واكتسـب بـه الجنان) قـال: والذي في معاويـة قال (عليه السـلام) : تلك النكراء والشـيطنة وليسـت بعقل لكنها شـبيهة بالعقل)[1] انتهى، وهو ما ذكرنـا لك مـن أن الضدين متعادلان ومتعاكسـان في الأحوال كلها فضد النور الكلي ظلمة كلية فافهم.

وقد يطلق العقل على ما سوى الخارج من الحواس الباطنية سواء كانت تدرك الكليات أو الجزئيات، وهذا إذا قالوا المعقول في مقابلة المحسـوس وكـما قال المنطقيون في تفسـير العلم أنه الصـورة الحاصلة في العقل أوعند العقل ويريدون به الذهن ما سوى الخارج ليكون تفسيرهم جامعا ومانعا، وهذا الإطلاق يرجع حقيقة إلى ما ذكرنا لكنه على طور دقيق رشيق كتمانه أولى من بيانه لأن من الناس من يحتمل ومنهم من لا يحتمل وقد قال سيد السـاجدين (عليه السـلام): (لا تتكلم بما تسـارع العقول إلى إنكاره وإن كان عندك اعتذاره).

المناسبة بين الألفاظ والمعاني

قـال سـلمه الله تعالى: المسـألة الثالثة عشرة هل بين الألفـاظ ومعانيها مناسبة ذاتية بها حصلت الدلالة أم لا بل لمجرد الوضع

---

(١) بحار الانوار ج١ ص١١٦ -المحاسن ج١ ص١٩٥ -معاني الاخبار ٢٣٩

أقول: الذي تقتضيه أدلة التوحيد بعد ثبوت القول بأن الواضع للألفاظ كلها هو الله سبحانه هو إثبات المناسبة بين الألفاظ ومعانيها ليخرج فعله تعالى عن العبث إذ القول بأن الله تعالى جعل بعض الألفاظ لبعض المعاني حرفا واحدا كهمزة الاستفهام والباء للصلة وللقسم وللتعدية وغيرها والتاء والواو وأمثالها، وبعضها ثنائية كقد ولا وما وإن وأمثالها، وبعضها ثلاثية وهو كثيرة، وبعضها رباعية وبعضها خماسية، واختص بعض الحروف بكونها أصلية وبعضها بكونها زوايد، وغير الأوضاع الحرفية في الرسوم اللفظي وأمثالها من القرانات والأوضاع والأحوال كل ذلك عبثا وهباء من غير داع وخصوصية لا يصدر عن عاقل والله سبحانه نص في كتابه العزيز وقال عز من قائل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾[1] وقال تعالى ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾[2] ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ﴾[3] ولما نظرنا في الذوات والقرانات الوجودية الذاتية ووقوعها على هيئة مخصوصة واقتضاءاتها لخواص وآثار معينة وجدنا كلها لنسبة مقتضية لذلك القران.

انظر إلى ترتيب الفصول الأربعة وأحوالها وأوضاعها وما يترتب عليها ووجود الأثمار في أماكن وفصول معينة وعدمها في غيرها، وكذلك المعادن وتوفر الثلوج والأمطار في بعض الأماكن وقلتها في بعضها وعدمها في

---

(١) النساء ٨٢

(٢) القمر ٥٠

(٣) الملك ٣

الآخر، هل يجوز أن تكون هذه الاختلافات كلها عبثا وهباء، فتبطل إذن الحكمة ويستلزم الظلم والبخل حيث أمد بعض الأشياء بالمدد والفيض ومنعهما عن الآخر، وثبوت الحكمة ووجود المناسبة المقتضية لترتب تلك الآثار والمقتضيات أمر ضروري بديهي سيما على مذهب الإمامية الإثني عشرية الفرقة الناجية، فكيف يراعي سبحانه المناسبة في الأكوان العنصرية الوجودية ولا يراعيها في الألفاظ والأحوال الوضعية وهوسبحانه يقول (وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ)، فكما أن أصول الموجودات أربعة وكل الكليات خصوصا العالم الجسماني إنما حصلت من قرانات هذه الأربعة على نظم طبيعي محكم متقن كذلك أصول الحروف ثمانية وعشرون والأسماء والألفاظ كلها إنما هي مركبة من قرانات هذه الحروف بعضها مع بعض، والقول بأن الإرادة مخصصة غلط فإن العبث هو إرادة الشيء من غير موجب وداع إلى ذلك مع أن إرادة هذا الشيء مثلا وعدمها في نفسها ممكن وهولا يوجد إلا بمرجح خارجي إذ لوكان ذلك نفسه لزم التسلسل فثبت أن ترجيح إحدى الجهتين يحتاج إلى مرجح آخر غير الإرادة، فوجب القول بأن الله سبحانه خلق ثمانية وعشرين حرفا هي مواد الألفاظ والأسماء فإذا أراد وضع لفظ لمعنى خاص أخذ حروفا تناسب ذلك المعنى وألفها بهيئة مناسبة سواء كانت المناسبة نوعية أوشخصية فإن المعنى روح اللفظ كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : (المعنى في اللفظ كالروح في الجسد) ولا شك أن بين الروح والجسد مناسبة خاصة يقتضي تعلق تلك الروح بذلك الجسد فإذا أراد الله أن يخلق روحا ويظهرها في الوجود خلق لها

جسـدا يناسـبها حتـى إذا تم ولجتـه الروح كما هـو المعلـوم، فالواضع إنما وضـع هذه الألفـاظ وخصصها للمعـاني الخاصة لما بينهما من المناسـبة في الصفات والذوات، وجهات المناسـبة مختلفة والأشياء لها جهات متضادة فمـن هـذه الجهة لا يمكننا إدراك جميع المناسـبات في الألفاظ كلها ويصح أن يوضـع لفـظ واحد لمعنيين متضاديـن لأن كل شيء له ضد ولا يتركب إلا من ضده فيناسـب كل ضد بالجهة الخاصة به، كما أن الإنسـان يناسـب النار لذاته ويناسـب الماء كذلك ويناسـب الهواء ويناسـب الأرض وكلها متضادة، ويصح أيضا النقل واختلاف اللغات لما ذكرنا ولما كانت المناسبة تختلف بالشـدة والضعف جاز الحقيقة والمجاز ولما كانت المناسبة أعم من أن تكون شـخصية ونوعية جـاز وضع الأعلام الشـخصية، والناس لما لم يعثروا على هذه الحقائق أنكروا المناسـبة وإذ لم يهتدوا بهذا فسـيقولون هذا إفـك قديم وأنـت إذا تتبعـت الأخبار وأمعنـت النظر فيهـا وجدت هذه المناسـبة مـن الأمـور المعلومة عندهم عليهم السـلام ألا تـرى كيف أفهم الإمام عليه السلام ذلك الزنديق لما سأله عن اسمه قال: اسمي عبد الملك فسئله عن كنيته قال: أبو عبد الله قال (عليه السلام) : (من هذا الملك الذي أنت عبد له أمن ملوك الأرض أم من ملوك السماء وأخبرني عن ابنك هل هـو عبـد إله الأرض أم إله السـماء فانقطع الرجل ولم يحـر جوابا)[1] فلولم يكـن بين الألفاظ والمعاني مناسـبة لجاز للرجل أن يقول كون اسـمي عبد الملـك لا يـدل عـلى أن يكون لي مـولى أرجع إليـه لأنه اسـم وضعه لي أبي

---

(١) الكافي ج١ ص٧٢-بحار الانوار ج٣ص٥١

ليدل علي ولا نسبة بين اللفظ والمعنى، أو تجوز أن الإمام عليه السلام أراد إفحامه وإن كان على الباطل حاشاهم عن ذلك وقال (عليه السلام) : (في العبد أنه ثلاثة أحرف العين علمه بالله والباء بونه عن الخلق والدال دنوه من الخالق من غير كيف)[1] وقال عليه السلام (في الله الألف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا واللام إلزام خلقه ولايتنا والهاء هو ان لمن خالف ولايتنا)وقال (عليه السلام) : (في بسم الله أن الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم ملك الله وفي رواية مجد الله)[2] وقال في (قل هو الله أن الهاء إشارة إلى تثبيت الثابت والواو إشارة إلى الغايب عن درك الحواس ولمس الناس)[3] وأمثالها من الأخبار كثيرة يقف عليها الفطن الماهر وقد أفردت رسالة منفردة في هذا الباب وذكرت فيها جميع الإيرادات الواردة التي أوردوها وحققت المسألة فيها كما ينبغي فمن أراد الاطلاع على حقيقة الأمر فعليه بمطالعة تلك الرسالة فإن ما فيها غنية للطالب الصادق.

قال سلمه الله تعالى: المسألة الرابعة عشرة ما الوجه في تركيب الأشياء من الضدين وكيف لا يمكن تركيبها من المتوالفين أوالمتخالفين الذين لم يبلغا حد التضاد؟

---

(١) في مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق ص ٨ : قال النبي (صلى الله عليه وآله) : اعبد الله كانك تراه فإن تكن تراه فانه يراك وحروف العبد ثلاثه (ع ب د) فالعين علمه بالله والباء بونه عمن سواه والدال دنوه الله تعالى بلا كيف ولا حجاب

(٢) في التوحيد ص ٢٣٠ عن صفوان بن يحيى ، عمن حدثه ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال : الباء بهاء الله ، و السين سناء الله ، والميم ملك الله ، قال : قلت : الله ؟ قال : الالف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا ، واللام إلزام الله خلقه ولايتنا ، قلت : فالهاء ؟ قال : هو ان لمن خالف محمدا وآل محمد صلوات الله عليهم ، قال : قلت : الرحمن ؟ قال : بجميع العالم ، قلت : الرحيم؟ قال : بالمؤمنين خاصة .

(٣) بحار الانوار ج٣ص٢٢١-التوحيد ٨٨

علة تركيب الأشياء من الضدين

أقـول : قـال مولانا الرضا (عليه السـلام): على مـا رواه الصدوق في التوحيـد والعيون ما معنـاه إن الله عز وجل لم يخلق فـردا قائما بذاته للذي أراد مـن الدلالـة على نفسـه فخلـق كل شيء من ضديـن وهو قوله تعالى: (ومـن كل شيء خلقنـا زوجين لعلكم تذكـرون) انتهـى الحديث، ويريد (عليـه السـلام) أن صفـات المخلوق من حيث هو مخلـوق يجب أن يكون بخـلاف صفة الخالق حتى لا يشـبهه شيء ولا يوافقـه شيء ولأن الممكن فقير محض وصفاته كلها من مقتضيات ذاته بل أقل رتبة منها فإن الصفات تحت رتبة الذوات فصفات الممكن بالفقر أولى فلا يصح توصيف الممكن بصفات الوجوب الذي هو الغناء المحض.

ولما كان الواجب سبحانه غني مطلق وكامل مطلق وبسيط مطلق ليس فيه سـبحانه جهة تضاد، واختلاف وأراد أن يصف نفسـه للخلق بذواتهم وكينوناتهم خلقهم سبحانه على جهة التركيب والتضاد وركبهم من أشياء متضـادة ليعلمـوا أن صانعهـم منـزه عن ذلـك وهو قوله (عليه السـلام) بمضادتـه بـين الأشـياء علـم أن لا ضد لـه وبتجهيره الجواهـر علم أن لا جوهـر لـه، ولما كان صنعه متصـلا وأمره واحدا خلـق كل شيء على هيئة كل شيء وجعـل في الجـزء مـا جعل في الـكل وجعل في السـافل ما جعل في العـالي فيجـب أن يكون كل شيء مركبا من ضديـن ليعلم أن لا ضد له وأيضـا قدرة الله سـبحانه تامة كاملة فوق التـمام والكمال فيجب أن يجري سـبحانه فعلـه وإيجاده على أكمل مـا يمكن في القدرة ويكـون بذلك دالا

علـى كمال قدرتـه البالغة ونعمتـه الكاملة، ولا شـك أن التركيب والجمع بـين الضدين بحيث يكون في عين التركيـب والامتزاج متمايزين في الفعل والأثر على صرافة حال البسـاطة شيء لا يطيقـه أحد من المخلوقين وهذا دليل على كمال قدرته سـبحانه فيجب أن يخلق هكذا وأن يركب الأشـياء من الأضداد، وأيضا قد سـبق منـا أن الأثر كلما كان أشرف يدل على كمال شرف المؤثـر، ولا شـك أن الأثر المختار أشرف وأعظـم من الأثر المضطر والله سـبحانه لا يؤثـر الأشرف عـلى الأخس لسـعة قدرتـه وعموم علمه وكمال استغنائه عن ما عداه فوجب أن يكون أثره مختارا ذا شعور وإدراك، والاختيار لا يكون إلا أن يكون في الشيء جهتان متضادتان ليقتضي بجهة حكـما وأمرا وبالجهة الأخـرى عدمه وضده حتى يمكـن أن يكون موردا للأمـر والنهـي، فلوكان له جهة واحدة لا يقتـضي إلا حكما واحدا فيكون مجبـورا ولا يصـح أن يكون الايجاد على مقتضاه كـما تقدم فوجب أن يخلق الأشياء كلها من قبضة من النور وقبضة من الظلمة، فالنور يقتضي الحرارة والظلمة تقتضي البرودة فمن امتزاجها حصلت الرطوبة واليبوسـة وجميع الأشياء إنما حصلت من هذين الأصلين الحقيقيين فافهم.

وأيضـا كل شيء لـما بدأ من المبـدأ الفياض حصلت لـه جهتان جهة إلى ربه وجهة إلى نفسـه كما في الحديث: (يا آدم روحك من روحي وطبيعتك خلاف كينونتي)[1] فإذا تحقق لكل شيء جهتان فلا شـك أنهما متمايلتان في الاقتضـاء والميل والأثر لأن جهة نفس الـشيء ظلمة وجهة ربه نور، تلك

---

(١) الكافي ج٢ ص٩.

شجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار وهذه شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها فيكون كل شيء مركبا من ضدين وهو قولهم المتفق عليه كل ممكن زوج تركيبي.

العلة في تقسيم الأشياء إلى الكثيف واللطيف والألطف

قال سلمه الله تعالى: المسألة الخامسة عشرة ما وجه تقسيم الأشياء إلى الكثيف واللطيف والألطف ؟

أقول: أما الكثيف فهو الأجسام بمراتبها وأحوالها وأوضاعها أي الجواهر المقترنة بالمادة العنصرية الفلكية والوسيطة والمدة الزمانية.

وأما اللطيف فهو النفوس أي الجواهر المجردة عن المادة الجسمانية والمثالية والمدة الزمانية والبرزخية الشخصية.

وأما الألطف فهو العقول أي الجواهر المجردة عن المادة النفسانية والمثالية البرزخية والجسمانية والمدة الزمانية.

فالأول له اقتران بالمواد والثاني لا اقتران له بها إلا من جهة العقل والثالث لا اقتران له بها أصلا لا في الذات ولا في الفعل.

وقد يراد من الألطف الحقيقة المجردة عن السبحات الفعلية وإن كانت مع السبحات الذكرية أي محل اسم الرحمن وموضع سر الديان.

ووجه حصول هذه الأقسام اختلاف إجابتهم لقول بلى حين كلفهم الله سبحانه بسر كينونتهم بلسان حقائقهم (ألست بربكم) العقل فتقدم العقول فتحلى بحلية الوجود وصار أقدم وألطف وأشرف من كل المراتب

لأنـه أول من وقع عليه فعـل الفاعل وجعل الجاعل، ثم بعد ذلك أجابت النفس فكانت من الروحانيات لكنها أغلظ من العقل وأكثف وإن كانت هي مجردة بسـيطة ثم بعد ذلك أجابت الأجسـام ولبت لداعي الحق الملك العلام فصارت كثيفة لأنها آخر من لبى لذلك النداء وآخر من سـمع نداء (إني أنا الله).

ثـم هـذه المراتـب المجتمعة في كل شـخص تختلـف مراتبهـا ومقاماتها باللطافـة والكثافة والشرافـة والغلظة وأشرفها وأعلاهـا وألطفها وأرقها الحقيقـة المحمديـة صلى الله عليه وآله فإن أجسـامهم عليهم السـلام علة لوجـود ذوات الأنبيـاء وهم عليهم السـلام أشرف وألطف من الإنسـان طبقة الرعية وهم ألطف من الملائكة والجن وهم ألطف من الحيوانات أي البهائـم وهم ألطف من النباتات وهـي ألطف من الجمادات وإليها انتهت الكثافات وهذا الترتيب لاختلاف إجابتهم حين سـألهم (ألسـت بربكم) ومحمـد (صلى الله عليه وآلـه) نبيكم وعلي أمير المؤمنـين وأولاده الطيبون الطاهـرون وفاطمة الصديقة الطاهـرة عليها وعليهم السـلام أولياؤكم) فأجابـت الهياكل الأربعة عـشر هذا النداء أولا فتقدمـوا على كل البريات وصاروا محلا للمشـية وموضعا للرسـالة قال تعالى ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [1] وكيفيـة السـؤال والإجابة مما نعتـذر عن بيانها لصعوبـة برهانهـا فإنها تـدرك بعين الفـؤاد وأنى للواقفين مقام الأجسـام والنفوس بل العقول ذلك الاستعداد.

---

(١) الأنعام ١٢٤.

بطلان المفهوم على إطلاق الواجب سبحانه

قال سلمه الله تعالى: المسألة السادسة عشرة ما الوجه في بطلان كون المفهوم للواجب سبحانه

أقول: المفهوم هو الذي يحصل في الذهن مما انتزع من الخارج على ما هو التحقيق عندنا أو مطلقا على ما هو عند القوم، وهم يريدون بمفهوم الواجب المعنى الكلي العام الذي يصلح لأفراد غير متناهية لكنه ما وجد من أفراده إلا الفرد الواحد الذي هو الله سبحانه فيكون مفهوم الواجب كليا منحصرا في الفرد ويمتنع الأفراد الأخر للمانع وقد تقدم الكلام عليه في أول المسائل لكنا نقول هذا المفهوم كذب أو صدق فإن كان الأول فلا كلام وإن كان الثاني فيكون الله سبحانه ذا أجزاء لأن الفرد مركب من الكلي والحدود المشخصة، فإن لم تعتبر الحدود المشخصة فهو كلي على صرافته فإن قلت هذه الحدود بذاته قلت إذن بطلت الكلية باستحالة أن يكون الشيء خاصا حين كونه عاما جزئيا حين كونه كليا إلا باعتبارين فإذا تحقق الاعتباران تحققت الجهتان فجاء التركيب، ثم على ما اخترنا أن الكلي الطبيعي موجود في الخارج وكذا غيره فأين يوجد هذا المفهوم هل هو في الأزل أم في الإمكان، فإن كان في الأزل فهو مقدم على الله لأنه فرد والكلي مقدم على فرده بالضرورة فيكون هو الله سبحانه لكونه سابقا ولا يصح أن يسبقه شيء، وإن كان في الإمكان فلم يكن واجبا لاستحالة اجتماع الوجوب والإمكان، وإن كان ليس شيئا إلا في الأذهان فالله سبحانه قبل خلق الخلق لم يكن فردا ولم يكن الواجب حينئذ مفهوما كليا

وإنما صار كذلك حين إيجاد الخلائق فإن كان كما ذكرنا كانت له سبحانه حالتان حالة قبل الخلق كان ذاتا بسيطة ولم يكن تحت مفهوم كلي، وبعد الخلق صار كذلك هل هذا كلام العقلاء؟! فظهر لمن له عين وقلب أن هذا المفهوم أمر باطل وكذب وإفك فاسد زايل مما قال سبحانه وتخلقون إفكا وإلا فهو جل وعلا أعز وأجل من أن يكون تحت مفهوم أويشمله كلي إذن يكون وجوده زايدا على ذاته، وفصل القول أن لهذا المفهوم إن كان تأصل في غير الأذهان وله تحقق وثبات فلا (يخلو إما) أن يكون واجبا أو ممكنا، فإن كان واجبا فلا يخلو إما أن يكون هو عين ذات الله سبحانه من غير مغايرة أوغيرها فإن كان الأول فبطلت الكلية والفردية وإنما هما شيء واحد بكل اعتبار، وعلى القول بأن أسماء الله توقيفية كما هو الحق يمنع إطلاق المفهوم عليه تعالى لعدم وروده من الشارع، وإن كان الثاني فلا شك أن المفهوم لكونه كليا صادقا على كثيرين مقدم على الفرد بالذات فقد تقدم حينئذ شيء على الله سبحانه ذاتا وقد أجمع المسلمون على بطلانه مع ما يلزم من تعدد القدماء واختلاف الحالتين وأمثال ذلك، وإن كان المفهوم ممكنا فلا يشمل الواجب فلا يكون الله سبحانه أحد أفراده وإن لم يكن له تأصل وتحقق إلا في الأذهان فلا ذكر له قبل الأذهان وبعدها فلا يوصف الحق سبحانه في القبل والبعد بأنه فرد للمفهوم ولا يوصف الواجب بأنه مفهوم كلي، فعند الأذهان وتحققه فيها فهل يؤثر في ذات الله سبحانه شيئا أي يورث له حكما وصفة لم يكن قبل ذلك أم لا، فإن كان الأول فاختلفت حالتاه، وكان للأثر الممكن تأثير في المؤثر الواجب سبحانه وتعالى عما

يقولـون علوا كبيرا، وإن كان الثاني فيكـون كذبا وإفكا كما قال عز وجل: ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾[1] ثـم الخبـط الأعظـم جعلهـم المفهـوم أمـرا مقسـما للواجب والممتنع والممكن وجعل الثلاثة أقساما لحقيقة واحدة مع اتفاقهم على أن المقسـم يجب أن يكون معتبرا في الأقسام، فإن كان المفهوم شـيئا فكيف يكون أحد أقسـامه الـلاشيء البحت الـذي عدمه ضروري و(سـيئيته) محـال وإن كان ليـس بشيء فكيـف يكون أحد أقسـامه الشيء البحت الثابت الذي لا شـيئية لغيره بالنسبة إليه، واتفقوا أن الواسطة بين الشيء والـلاشيء والقديم والحادث ممتنعة لاسـتلزام كون الشيء الواحد مخلوقـا حـين كونه غير مخلـوق، وغير مخلوق، حين كونـه مخلوقا، وهذا لا يعقـل لأن التعقل إنما هو بإحـداث الصورة في القوة العاقلة ولا يمكن أن تحـدث النفـس في الخيال صورة حـين عدم تلك الصـورة أوحين إحداث صـورة عدمهـا أوحين عدمها ولذا قـال مولانا الصادق عليه السـلام (إذ ليس بين النفي والإثبات منزلة).

وقد اتفقوا أيضا على أن كل قسـم قسيم للقسـم الآخر، والقسـيم هو الضـد فيكون على هـذا لله تعالى ضـد وأن يكون الممكن ضـدا للواجب، واتفقـوا أيضـا أن ضد الشيء من حيث هو لم يصدر من ضده فلم يكن الله خالقا للمكن حينئذ، واتفقوا أيضا على أن المقسـم غير الأقسام فيجب أن يكـون المفهوم على هذا لا واجبا ولا ممتنعـا ولا ممكنا، واتفقوا على بطلان القسـم الرابع، انظـر إلى هذه التناقضـات وكيف يخالفون مـا هم متفقون

---

(١) العنكبوت ١٧

عليه، فإن قيل أن هذا التقسيم في الذهن وليس في الخارج قلنا هل هو كذب أو صدق فإن كان كذبا فهو المطلوب وإن كان صدقا فهل يطابق الواقع أم لا فإن كان يطابق فجاء ما قلنا وإن لم يطابق فهو المراد.

والأصل في هذه المغالطات كلها عدولهم عن القرية الظاهرة للسير إلى القرى المباركة ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾.

ولو قلدوا الموصى إليه أمورهم لزمت بمأمون عن العثرات

وقد أجرينا الكلام في هذا المقام على مقتضى دليل المجادلة بالتي هي أحسن.

وأما دليل الحكمة فالناظر إليه في هذا المقام يشاهد سرا غريبا وأمرا عجيبا لكنا تركنا ذكره لعدم الإقبال وتطويل المقال وعدم الاعتدال في طبايع الرجال وعلى الله التوكل في المبدأ و(المال)

من عرفه نفسه فقد عرف ربه

قال أيده الله تعالى: ووفقه لمراضيه: المسألة السابعة عشرة ما معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[1].

أقول: لما دلت الأدلة العقلية والنقلية على أن الإدراك لا يمكن إلا أن يكون المدرك محيطا على المدرك بفتح الراء أو عينه امتنع إدراك الأزل الواجب الحق سبحانه وتعالى فانسد باب معرفته ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ

(١) بحار الانوار ج٢ ص٣٢-عوالي اللالي ج٤ ص١٠٢-غرر الحكم ٢٣٢

عِلْمًا ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾
وقد دلت الأدلة العقلية والنقلية أيضا على أنه سبحانه وتعالى إنما خلقنا لنعرفه ونعبده كما في الحديث القدسي (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف)[1] وقال تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[2] ولما استحالت معرفة الأزل بذاته لم يبق إلا معرفته بوصفه ولما كان الأزل صمدا لم يدخل فيه شيء ولم يخرج منه شيء ليس لأحد سبيل إلى توصيفه وتعريفه سواه وجب أن يصف نفسه لخلقه ويعرفهم إياها ليعرفوه بها وصف نفسه لهم ويعبدوه كذلك، ولما كان فعل الله سبحانه يجب أن يحمل على أكمل ما ينبغي في الوجود وجب أن يكون وصفه نفسه لخلقه أجلى ما يمكن من التوصيف والتعريف لئلا يكون لأحد حجة ويكون إكمال نعمة للمؤمنين وإتمام حجة للكافرين المعاندين.

ولما كان الوصف قسمين حالي ومقالي وكان الحالي أجلى من المقالي وجب أن يصف سبحانه نفسه لهم بالوصف الحالي يعني يخلق لهم أمثاله وآياته وصفاته ليعرفوه بها، ولما كان الوصف كلما هو أقرب إلى من وصف له كان أبلغ وأكمل وأقطع للحجة وليس شيء أقرب إلى الشيء من نفسه إليه، جعل سبحانه وله الحمد والمنة ذوات الخلائق وأنفسهم أمثالا وصفاتا لمعرفته في كل المقامات في توحيده وفي أسمائه وصفاته وفي آثاره وأفعاله وفي عبادته فأبان عن هذه الحقيقة بقوله الحق ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى

(١) بحار الانوار ج٨٤ص١٩٨ -شرح نهج البلاغة ج٥ص١٦٣
(٢) الذاريات٥٦

﴿ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[2] ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ﴾[3] ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾[4] فهو سبحانه عرف نفسه لك بك فلولاه ما عرفته فهو تعالى بنفسه عرف نفسه لنفسك بنفسك وإلى العبارة الأولى أشار عليه السلام في الدعاء (يا من دل على ذاته بذاته)[5] وفي دعاء السحر (بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدر ما أنت)[6] فكان الدعاء الثاني بيانا وشرحا للدعاء الأول بأن المراد أنه هو الذي دل على نفسه بنفسه بما وصف للخلق من أمثال توحيده وآيات تفريده في أنفس الخلق ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[7].

أي من عرف نفسه بما جعل الله سبحانه فيها من أدلة توحيده وأسرار أسمائه وصفاته وكيفية عبادته وظهور آثاره فقد عرف ربه بما يمكن له أن يعرف لا أنه يعرفه على ما هو عليه في ذاته حاشاه عن ذلك وإنما هي المعرفة الكاملة الممكنة في حقه مما يجد من الصفات الإلهية التي فطرت طويته وجبلته عليها فحقائق الخلائق هي هيكل التوحيد ولذا قال النبي

---

(١) فصلت ٥٣

(٢) الذاريات ٢١

(٣) إبراهيم ٢٥

(٤) العنكبوت ٤٣

(٥) بحار الانوار ج٨٤ص٣٣٩-ج٩١ص٢٤٢)

(٦) الاقبال ٦٧-البلد الامين ٢٠٥-مصباح الكفعمي ٥٨٨

(٧) بحار الانوار ج٢ص٣٢-عوالي اللالي ج٤ص١٠٢-غرر الحكم ٢٣٢

صلى الله عليه وآله (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه)[1].

ولما كانت مراتب الخلائق متفاوتة في العلو والسفل والتجرد والمادية والعلية والمعلولية والأثرية والمؤثرية والقرب والبعد كان وصف الحق سبحانه نفسه للخلق أيضا على حسب مراتب الموجودات، ولذا قيل أن الطرق إلى الله بعدد أنفس الخلايق فوصف سبحانه نفسه للقوي بما هو عليه، وللضعيف بما هو عليه ولا يعرف أحد إلا ما انتقش في لوح حقيقته من صفة توحيد ربه ومعرفة معبوده حتى قالت النملة أن لله زبانيتين، وقال النبي صلى الله عليه وآله (يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت)[2] الحديث، ولا عرف علي عليه السلام من معرفة الله سبحانه ما عرفه النبي صلى الله عليه وآله والنبي صلى الله عليه وآله يقول (ما عرفناك حق معرفتك)[3]، فالإدراك الذاتي الأزلي مما ( ) الغنى المطلق عن كل مبروء ومذروء والإدراك الوصفي تختلف مراتب الخلق فيه في القوة والضعف حتى كان إدراك الضعيف في التوحيد شركا بالنسبة إلى إدراك القوي إلا أنه توحيد بالنسبة إليه لأنه الذي أعطاه الله سبحانه حسب مسئلته ولا يكلف الله نفسا إلا ما (آتاها) (معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) فعلى هذا تفهم معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام (إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظايرها انتهى المخلوق إلى مثله والجاه الطلب إلى شكله) رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك وهجم

---

(١) جامع الاخبار ٤-روضة الواعضين ج١ص٢٠-متشابه القران ج١ص٤٤

(٢) تاويل الايات ١٤٥-٢٢٧

(٣) بحار الانوار ج٦٦ص٢٩١-ج٦٨ص٢٣-عوالي اللالي ج٤ص١٣٢

له الفحص على العجز والبلاغ على الفقد والجهد على اليأس الطريق مسدود والطلب مردود دليله آياته ووجوده إثباته، نقلت معنى الحديث بتقديم وتأخير في اللفظ، وقول مولانا الصادق عليه السلام (كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم)[1] فاتضح الأمر لمن طلب الرشد والحق.

واعلم أنك لا تتوجه إلا إلى الحق القديم الأزلي ولا تعبد إلا الله الحي القيوم، لكنه بقي الكلام في كيفية معرفة النفس التي هي معرفة الرب فقالت كل طائفة حسب ما وجدوا مقدار ما وصلوا لأنهم لما نزلوا في القوس النزولي ففي الصعودي اختلفت مراتبهم، فكل من وقف مقاما حسب أنه وصل وصعد إلى المنزل الأصلي والموطن الواقعي لكنه ليس كذلك ونعم ما قال:

خليلي قطاع الفيافي إلى الحمى   كثير وأما الواصلون قليل

لأن لهم علامات وحالات بها يعرفون أنهم ممن أشهدهم الله خلق أنفسهم وخلق السموات والأرض، فمنهم من قال في كيفية المعرفة أنه يعرف نفسه أي روحه بأنه ليس في الجسد وداخلا دخول الممازجة ولا خارجا عنه خروج المفارقة وليس في مكان خاص في الجسد ولا يخلو منه مكان فيه وهو المقوم للجسد والمحصل الممد له، فإذا عرف هذا في نفسه عرف ربه بالنسبة إلى العالم الكلي، هذا معرفة أولي العلم أصحاب عالم النفوس مقام الرسوم والنقوش.

---

(١) بحار الانوار ج٦٦ ص٢٩٢

ومنهم من قال يعرف نفسه بالعجز فيعرف ربه بالقدرة ويعرف نفسه بالذل ويعرف ربه بالعز، ويعرف نفسه بالفناء فيعرف ربه بالبقاء، ويعرف نفسه بالجهل فيعرف ربه بالعلم، وأمثال ذلك من الأمور والأحوال وهذا معرفة أولي الألباب أصحاب عالم العقول.

ومنهم من قال يعرف نفسه المنسوب إليها كل الأحوال وهي غيرها فيعرف ربه بذلك كما أنه يقول جسدي وجسمي وخيالي ونفسي وروحي وعقلي وذاتي وكل جزئي وأحوالي وأعراضي وهومنزه ومبرء عن ذلك كله لضرورة المغايرة بين المنسوب والمنسوب إليه كما هي شرط الإضافة، كذلك الله عز وجل يقول عبدي وملكي وسمائي وأرضي واسمي وصفتي وهويتي وماهيتي وهوسبحانه منزه عن الكل والكل منسوب إليه، وهذا على أعلى المعاني معرفة أولي الأفئدة أصحاب الحقائق، وأهل المشاهدة وأصحاب الأذواق يقولون أن كيفية معرفة النفس كما سأل كميل عن أمير المؤمنين عليه السلام وقال يا أمير المؤمنين ما الحقيقة قال عليه السلام مالك والحقيقة قال أولست بصاحب سرك قال عليه السلام بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح مني قال أومثلك يخيب سائلا قال عليه السلام الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة قال زدني بيانا قال عليه السلام محوالموهوم وصحوالمعلوم قال زدني بيانا قال عليه السلام هتك الستر لغلبة السر قال زدني بيانا قال عليه السلام جذب الاحدية بصفة التوحيد قال زدني بيانا قال عليه السلام نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره قال زدني بيانا قال عليه السلام أطفئ السراج فقد

طلع الصبح[1] انتهى، والمراد بالحقيقة المسئول عنها هو النفس التي معرفتها هـي عين معرفـة الرب، فبـين عليه السـلام أنهـا بالمحو والصحو ولو أردنا شرح هـذه الكلمات لطال بنا المقال وأنا النوام المكسـال ومرادي الإشـارة إلى حقيقة المراد وقد كتب مولانا وأسـتاذنا أطـال الله بقاه وجعلني في كل محذور فداه شرحا مبسـوطا كافيا وافيا لهذا الحديث الشريف فمن أراد أن يطلع حقيقة الإطلاع فعليه بمطالعة تلك الرسالة الشريفة

كيفية ظهور المعجز عن المعصوم عليه السلام

قـال وفقه الله تعالى: المسـألة الثامنة عشرة كيـف كان ظهور المعجزات وخـوارق العادات عن مولانا أمير المؤمنين عليه السـلام، وما معنى كونه عليه السلام آية للنبي صلى الله عليه وآله.

أقـول الجـزء الأول من السـؤال له وجهان أحدهما السـؤال عـن كيفية ظهـور أصـل المعجز عنه عليه السـلام وعن غيره، والثاني عن وجه شـيوع ظهور المعجزات عن أمير المؤمنين عليه السلام دون غيره من النبي والأئمة عليهم السـلام حتـى أن الناس قالوا فيه بالألوهية لعظـم ما يجدون منه من الكرامات وخوارق العادات، و بيان الخطب البليغة ووصف نفسه الشريفة بأنه خالق الأرضين والسموات بإذن الله سبحانه مع أن سائر الأئمة عليهم السلام مشتركين معه في تلك المزايا والخواص وكان يثبت لهم ما كان يثبت له فإذن ما الوجه في ظهورها فيه وعدمه في غيره صلى الله عليهم.

---

(١) نور البراهين - ج١ - ص٢٢١.

الجواب أما عن الأول فاعلم أن الأشياء على ثلاثة أقسام.

منهـا ما لطيفته أنقص مـن ذاته يعني لا يقدر على إظهار ما اسـتجن في إمكان ذاته من الأنوار فضلا عن غيره إلا بمعونة الخارج ومثاله في الظاهر الصخر وما أشبهها ليست هي نورانية ولا تنور غيرها .

ومنها ما لطيفته يساوي ذاته مثاله الجمرة فإنها تضيء نفسها ولا يتعدى ضوءها إلى غيرها فيضيء ذلك الغير.

ومنهـا ما لطيفتـه زائدة على ذاته يعني يضيء ذاتـه ويضيء غيره، وذلك كالأجسام المضيئة مثل الشمس والسراج وأمثالها والإمام عليه السلام لما كان منغمسـا في بحر الاحدية وسـابحا في لجة الواحدية ومصباحا موقدا من نار الشـجرة الزيتونة التي ليست شرقية ولا غربية كان له عليه السلام نـور زايـد يسـتضيء به العالم فـإذا أراد إظهـار معجزة وخـوارق عادة أتم بفاضـل نوره ما كان في ذلك الشيء من النقصان، حتى ظهر بكمال مرتبته عند اعتدال فطرته كما أمر الشـجرة بالكلام[1] وأمرها بالحركة والسـكون

(١) في كتاب الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصيبي ص ٥٦ : عن أبي بكر القصار ، عن سيف بن عميرة ، عن بكر بن محمد ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال : لما دعا النبي قريشا الى الله وخلع الانداد ، اشتد ذلك على قريش ، وغمهم غما شديدا ، وتداخلهم أمر عظيم ، وقالوا : إن ابن أبي كبشة ليدعي أمرا عظيما ، ويزعم أنه نبي ورسول فاتاه منهم أبو جهل لعنه الله - عمرو بن هشام بن المغيرة - وأبو سفيان ، وسفيان بن حوشبة ، وعتبة بن ربيعة ، وهشام ، والوليد بن عتبة ، وصناديد قريش المنظور إليهم ، وقالوا : يا محمد تزعم انك نبي ورسول ، وقد ادعيت أمرا عظيما لم يدعه آباؤك ، ولا أحد من أهل بيتك ، ونحن نسالك أمرا ان جئتنا به وأريتنا إياه علمنا أنك نبي ورسول ، وان أنت لم تفعل ذلك علمنا أنك تدعي الباطل وتقول السحر والكهانة . فقال لهم : ما حاجتكم ؟ فقالوا : نريد أن تدعو لنا هذه الشجرة تنقلع بعروقها وتقف بين يديك ، فقال لهم : إن أفعل هذا تؤمنون ؟ قالوا : نعم نؤمن ، قال لهم : ساريكم ما تطلبون ، وأعلم انكم ما تجيبون ولا تؤمنون ؟ ولا تؤولون الى خير . فقال للشجرة يا أيتها الشجرة ، إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر ، وتعلمين أني رسول الله حقا فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي . قال : ما استتم كلامه حتى اقتلعت الشجرة ووقفت بين يديه ، فلما نظروا إليها اغتموا غما شديدا ، وقالوا

والتقطع وإظهار الثمرة المونعة.

وأمره للحصى بالتسبيح والتهليل[1] وأمثال ذلك.

له : مرها أن ترجع الى مكانها ولياتك قسما سويا فأمرها بذلك فاقبل نصفها وبقي نصفها قالوا : مر هذا النصف يرجع الى الذي كان فيه فأمره فرجع الى موضعه كما كان . فلما رأوه قالوا باجمعهم : تالله ما رأينا مثل هذا السحر ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : قد أخبرتكم انكم لا تؤمنون بها أريكم وقد علمتم أني لست ساحرا ولا كذابا ولا مجنونا . قالوا : يا محمد ما رأينا أعظم من هذا السحر ولم يكن فيهم أشد تكذيبا من أبي لهب ، فقال له بعضهم : يا محمد ما وجد ربك من يبعثه غيرك ؟ فغضب من كلامهم وقال لهم : والله يا معاشر قريش قد علمتم انه ما منكم احد يتقدمني في شرف ، وأني الى خير مكرمة ، وان آبائي قد علمتم من هم ، فسكت القوم وانصرفوا وفي قلوبهم عليه أحر من الجمر مما سمعوا من الكلام وأراهم من العجائب التي لم يقدروا أن ياتوا بمثلها.

وفي كتاب الإمام علي (ع) لأحمد الرحماني الهمداني ص ٧٨٦ : أورد الزمخشري في (ربيع الأبرار) على ما في (تاريخ الخميس) في هجرة النبي صلى الله عليه واله وسلم عن ام معبد ، قالت : (لما توضأ صلى الله عليه واله وسلم مج في أصل عوسجة يابسة عندنا فأينعت وأثمرت كنا نستشفي بثمارها في حياته - إلى - فأصبحت ذات شوك من اسفلها إلى أعلاها و تساقط ثمرها وذهبت نضرتها وما شعرنا إلا بقتل أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - ، فما أثمرت بعد ذلك وكنا ننتفع بورقها ثم أصبحنا وإذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط وقد ذبل ورقها إذ أتانا خبر مقتل الحسين عليه السلام ويبست الشجرة) .

(١) في مناقب آل ابي طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٨٠ : عن علقمة وابن مسعود : كنا نجلس مع النبي صلى الله عليه وآله ونسمع الطعام يسبح ورسول الله يأكل ، وأتاه مكرز العامري وسأله آية فدعا بتسع حصيات فسبحن في يده . وفي حديث أبي : فوضعهن على الارض فلم يسبحن وسكتن ثم عاد وأخذها من فسبحن . ابن عباس قال : قدم ملوك حضر موت على النبي صلى الله عليه وآله فقالوا : كيف نعلم انك رسول الله ؟ فأخذ كفا من حصى فقال : هذا يشهد اني رسول ، فسبح الحصا في يده وشهد أنه رسول الله . وفي كتاب الخرائج والجرائح - قطب الدين الراوندي ج ١ ص ٤٧ : ومنها : ما روى عن أنس أنه صلى الله عليه وآله أخذ كفا من الحصى فسبحن في يده ثم صبهن في يد علي ، فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح في أيديهما ، ثم صبهن في أيدينا فما سبحت في أيدينا. .وفي كتاب الخرائج والجرائح - قطب الدين الراوندي ج ٢ ص ٥١٩ : عن الحسن بن علي عليهما السلام في قوله تعالى : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) قال : يقول الله يبست قلوبكم معاشر اليهود كالحجارة اليابسة ، لا ترشح برطوبة ، أي أنكم لا حق الله تؤدون ، ولا أموالكم تتصدقون ولا بالمعروف تتكرمون ، ولا للضيف تقرؤن ولا مكروبا تغيثون ، ولا بشئ من الانسانية تعاشرون وتواصلون . (أو أشد قسوة) أبهم على السامعين ولم يبن لهم ، كما يقول القائل : أكلت لحما أو خبزا ، وهو لا يريد [به] أني لا أدري ما أكلت بل يريد [به] أن يبهم على السامع حتى لا يعلم ماذا أكل ، وإن كان يعلم أنه قد أكل أيهما . (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) أي قلوبكم في القساوة بحيث لا يجئ منها خير يا يهود ، وفي الحجارة ما يتفجر منه الانهار فتجئ بالخير والنبات لبني آدم . (وإن منها) أي وإن من الحجارة (لما يشقق فيخرج منه الماء) دون الانهار ، وقلوبكم لا

أو بفاضل نوره يسد ما قد كان يحصل الخلل في العالم إذا تغير ذلك الشيء عما هو عليه وذلك كشق القمر (١) .

يجئ منها لا كثير من الخير ولا قليل . (وإن منها) أي من الحجارة إن أقسم عليها باسم الله تهبط ، وليس في قلوبكم شئ منه . فقالوا : زعمت يا محمد أن الحجارة ألين من قلوبنا ، وهذه الجبال بحضرتنا فاستشهدها على تصديقك ، فان نطقت بتصديقك فأنت المحق ، فخرجوا إلى أوعر جبل فقالوا : استشهده . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أسألك يا جبل بجاه محمد وآله الطيبين ، الذين بذكر أسمائهم خفف الله العرش على كواهل ثمانية من الملائكة بعد أن لم يقدروا على تحريكه « . فتحرك الجبل وفاض الماء ، فنادى : أشهد أنك رسول رب العالمين ، وأن قلوب هؤلاء اليهود كما وصفت أقسى من الحجارة . فقال اليهود : أعلينا تلبس ؟ أجلست أصحابك خلف هذا الجبل ينطقون بمثل هذا ، فان كنت صادقا فتنح من موضعك إلى ذي القرار ومر هذا الجبل يسير إليك ، ومره أن ينقطع نصفين ، ترتفع السفلى ، وتنخفض العليا . فأشار إلى حجر تدحرج ، فتدحرج ، ثم قال لمخاطبة : خذه وقربه فسيعيد عليك بما سمعت ، فان هذا جزء من هذا الجبل . فأخذه الرجل فأدناه من اذنه ، فنطق الحجر بمثل ما نطق به الجبل . قال : فأتني بما اقترحت . فتباعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى فضاء واسع هناك ثم نادى : أيها الجبل بحق محمد وآله الطيبين لما اقتلعت من مكانك بأذن الله وجئت إلى حضرتي فتزلزل الجبل وسار مثل الفرس الهملاج ونادى : ها أنا سامع لك ومطيع ، مرني . فقال : هؤلاء اقترحوا علي أن آمرك أن تنقطع من أصلك فتصير نصفين ، فينخفض أعلاك ويرتفع أسفلك . فتقطع نصفين ، فارتفع أسفله وانخفض أعلاه ، فصار فرعه أصله . ثم نادى الجبل : أهذا الذي ترون ، دون معجزات الذي تزعمون أنكم به مؤمنون ؟ فقال رجل منهم : هذا رجل تتأتي له العجائب . فنادى الجبل : يا أعداء الله أبطلتم بما تقولون نبوة موسى عليه السلام ، حيث كان وقوف الجبل فوقهم كالظلة ، فيقال : هو رجل يأتي بالعجائب . فلزمتهم الحجة وما أسلموا .

(١) في كتاب الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصيبي ص ٧٠ : حدثنا محمد بن احمد عن حمران بن اعين عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال : لما أظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الرسالة والوحي بمكة واراهم الآيات العظيمة والبراهين المبهرة تحيرت قبائل قريش من بني امية وبني تيم وعدي فيما اتى به النبي (عليه السلام) اجتمع بعضهم الى بعض وقالوا لذي الرأي منهم ماذا ترون من الرأي في ما ياتي به محمد مما لا يقدر عليه احد من السحرة والكهنة والجن واتى بشئ لا يقدر ان ياتي به ممن ذكرناه احد حتى نسال محمدا من اين اتى به فلم يدع بدينه الى الانبياء والرسل ولا الكهنة والسحرة ولا الجن المسخرة لسليمان بن داود ولا معجزة الا وقد أتاهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمثلها واعظم منها فقال بعضهم لبعض : اجمعوا على ان نساله أن يشق لنا القمر في السماء وينزله الى الارض شعبتين فان القمر ما سمعنا من سائر النبيين أحدا يقدر عليه كما قدر على الشمس فانها رجعت ليوشع بن نون (عليه السلام) وصي موسى بن عمران (صلوات الله عليه) وكانوا يظنون ان الشمس لا ترد من مغربها ، فمن ذلك ابراهيم (عليه السلام) قال : (ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر) وهو النمرود ثم ردت على يوشع بن نون على عهد موسى (عليه السلام) فاجمعوا امرهم وجاؤوا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا له : يا محمد قد جعلنا بينك وبيننا آية ان اتيت بها آمنا بك وصدقناك ، قال لهم رسول الله اسالوني فاني أنبئكم بكل آية لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله . فقالوا : يا محمد الوعد بيننا وبينك سواد الليل وطلوع القمر ، تقف على المشعرين فتسال ربك الذي تقول انه ارسلك رسولا ان يشق لك القمر شعبتين ، وينزله من السماء حتى ينقسم قسمين ، ويقع

ورد الشمس بعد غروبها.

وعروجه صلى الله عليه وآله في المعراج وخرقه الأفلاك عليه السلام

القسم الواحد على المشعرين ، والقسم الثاني على الصفا . فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : فهل انتم مؤمنون بها قلتم انكم تؤمنون بالله ورسوله . قالوا : نعم يا محمد ، وتسامع الناس وأتوا الى سواد الليل فاقبل الناس يهرعون الى البيت وحوله حتى اقبل الليل واسود وطلع القمر وأنار، والنبي (صلى الله عليه وآله) وامير المؤمنين (عليه السلام) ومن آمن بالله ورسوله يصلون على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويطوفون حول البيت ، فاقبل أبو جهل وابو سفيان على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا له : الآن بطل سحرك وكهانتك ، هذا القمر فاوف بعهدك ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : قم يا ابا الحسن قف بجانب الصفا ، وهرول الى المشعرين وناد بهذا اظهارا وقل في ندائك : « اللهم رب هذا البيت الحرام والبلد الحرام وزمزم والمقام ومرسل هذا الرسول التهامي أئذن للقمر أن ينشق وينزل الى الارض فيقع نصفه على الصفا ونصفه على المشعرين فقد سمعت سرنا ونجوانا وانت بكل شئ عليم » . فتضاحكت قريش وقالوا ان محمدا استشفع بعلي لانه لم يبلغ الحلم ، ولا ذنب له فقال أبو لهب (لعنه الله) لقد اشمتنا الله بك يا ابن اخي في هذه الليلة . فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اخس يا من أتب الله يديه ، ولم ينفعه ماله ولا بنوه ، وتبين مقعده في النار . فقال أبو لهب : لافضحنك في هذه الليلة بالقمر وشقه وانزاله الى الارض ولافلت كلامك هذا الذي إذا كان غدا جعلته سورة ، وقلت هذا اوحى الى ابي لهب . قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) امض يا علي فيما أمرتك واستعذ بالله من الجاهلين ، ثم هرول امير المؤمنين من الصفا الى المشعرين ، ونادى واسمع بالدعاء فما استتم كلامه حتى كادت الارض ان تسيخ باهلها والسماء ان تقع فقالوا : يا محمد لقد اعجزك شق القمر اتيتنا بسحرك لتفتنا فيه ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هان عليكم بما دعوت به فان السماء والارض لا يهون عليهما بذلك ولا يطيقان سماعه ، فقوموا باجمعكم وانظروا الى القمر قال : ثم ان القمر انشق نصفين نصفا وقع على الصفا ونصفا وقع على المشعرين ، فاضاءت داخل مكة وأوديتها وصاح المنافقون : اهلكنا محمد بسحره يا محمد افعل ما شئت فلن نؤمن بك ولا بما جئتنا به . ثم رجع القمر الى منزله من الفلك واصبح الناس يلوم بعضهم بعضا ويقولون برأيهم : والله لنؤمنن بمحمد ولنقاتلنكم معه مؤمنين فقد سقطت الحجة وتبين الاعذار وانزل في ذلك اليوم سورة ابي لهب واتصلت به فقال : ان محمد فعل ما قلته له في تأليفه له في هذا الكلام ليشنعني به ، والله اني لاعلم ان محمدا يعاديني لكفري به وتكذيبي له من بين بني عبد المطلب وخاصة لسبب العباس فانه انكره اولاد عبد المطلب لما اتت امه بتلك الفاحشة واحرقها ابونا عبد المطلب على الصفا وكان اشدهم له جحدا الحارث والزبير وابو طالب وعبد الله فحلفت باللات والعزى انه من ابناء عبد المطلب حتى الحقت العباس بالنسب فمن اجل ذلك الف هذا ويزعم انها سورة انزلها الله عليه ، فوحق اللات والعزى لو اتى محمد بما يملا الافق من المدح ما آمنت به ولا فيما جاء به ولو عذبني رب الكعبة بالنار . فامن في ذلك اليوم ستمائة واثنا عشر رجلا واكثرهم اسر ايمانه وكتمه الى ان جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة ومات أبو لهب (لعنه الله) وقتل أبو جهل وأسر أبو سفيان ومعاوية يوم فتح مكة والعباس وزيد بن الخطاب وعقيل بن ابي طالب واسر كثير منهم مقدار ثمانين رجلا تحت القدم فكانوا طلقاء لم ينفعهم ايمانهم وهم لا ينظرون

عند عروجه بجسده إلى العرش وربما يرقون السافل إلى الأعلى كما رقوا الحمامة والغزال حتى تكلما باللغة العربية يعرفها كل من سمع وربما ينزلون في مقام أسفل كما تكلم مولانا الباقر عليه السلام مع تلك الحمامة حيث تكلم عليه السلام بكلامها معها وهذا هو الحكم الجامع في كل معجز لكل نبي أوولي أووصي أوعبد صالح فإنهم بفاضل نورهم يجبرون كل كسير ويصلحون كل شيء ثم يمدونه للإظهار كما فعل عليه السلام بصورتي الأسد المنقوشتين على مسند مأمون وكذلك الهادي عليه السلام مع ذلك الهندي.

وأما الجواب عن الثاني فلما ذكرنا كثيرا في مباحثاتنا ورسائلنا خصوصا في الشرح على الخطبة الشريفة الطتنجية أن مقام رسول الله صلى الله عليه وآله مقام الإجمال ومقام علي عليه السلام مقام التفصيل فنسبة رسول الله صلى الله عليه وآله نسبة العرش الفلك الأطلس الخالي عن الكوكب ونسبة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام نسبة الكرسي الفلك المكوكب مع أن الكرسي مستمد من العرش ترى الكواكب والآثار والتأثيرات إنما هو في الكرسي بقرانات الكواكب بعضها مع بعض ونسبة سائر الأئمة عليهم السلام نسبة الأفلاك السبعة وهي تستمد من الكرسي، والكرسي يستمد من العرش، لكن مبدأ التفاصيل وظهور الأمر إنما هو في الكرسي حتى نسبوا التأثيرات إلى الكواكب المركوزة في الكرسي ولا ينسبونها إلى العرش مع أنها كلها به ومنه وعنه فنسبته صلى الله عليه وآله نسبة النقطة ونسبة علي عليه السلام نسبة الألف الممتد من النقطة ونسبة الأئمة عليهم

السلام نسبة الحروف فعلي عليه السلام أمير المؤمنين والمؤمنون هم الأئمة عليهم السلام وهو عليه السلام يميرهم العلم والحكمة ولذا كان ظهور المعجزات والخوارق من علي عليه السلام دون النبي وسائر الأئمة عليهم السلام وهو قوله تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[1] قال رسول الله صلى الله عليه وآله (أنا المنذر وعلي الهادي)[2] والهادي هو الموصل إلى المطلوب من خير وشر ونفع وضر ونور وظلمة لأنه الواقف في حجاب الرحمانية التي بها ظهر الله على العرش فأعطى كل ذي حق حقه وساق إلى كل مخلوق رزقه فافهم راشدا موفقا إنشاء الله تعالى.

وأما كونه عليه السلام آية للنبي صلى الله عليه وآله لأنه عليه السلام سبب ظهوره وإظهار نوره وانتشار أمره وإعلاء ذكره وإفشاء خبره، أما في الظاهر فلأن بسيفه عليه السلام ظهر الدين وبإعانته قوي الإسلام والمسلمون إذ ما انتشر أمر النبي صلى الله عليه وآله إلا بعد الغزوات في جهاد الكفار وما حصل الفتح فيها إلا بعلي عليه السلام فكان هو آية للنبي صلى الله عليه وآله به أقام الدين وأعز الإسلام والمسلمين.

وأما في الحقيقة والواقع فلما ذكرنا آنفا أن مقامه عليه السلام مقام التفصيل ولا يظهر المجمل إلا في مقام التفصيل لأن النقطة لا تظهر إلا بالألف والعرش لا يتبين إلا بالكرسي، ولذا كان عليه السلام هو حامل لواء الحمد ومقامه مقام النفس الكلية ومقام النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) الرعد ٧

(٢) بحار الانوار ج٩ ص١٠٦ أج٢٣ ص٢ أج٣٥ ص٤٠٣ -تاويل الايات ٢٣٦ -تفسير العياشي ج٢ ص٢٠٣ - شواهد التنزيل ج١ ص٣٨٤

مقـام العقل الـكلي ولا يظهر آثار العقـل في مقام التفصيـل وعالم الظهور إلا في النفـس فكانـت النفـس آية للعقل ولا تظهر إلا بهـا فلولا النفس لم يكن للعقل ظهور ولولم يكن الكرسي لم يكن للعرش ظهور، فالكرسي آية للعرش ومحل لظهوراته، كذلك علي عليه السـلام آية للنبي صلى الله عليه وآله ولولاه لم تظهر آثار النبوة، إذن يقبح بعث النبي لعدم الآية وهو معنى ما ورد (لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك).

الحسنة بعشر والسيئة بمثلها

قال سـلمه الله تعالى المسـألة التاسـعة عشرة لم كان الثواب على الطاعة عـشرة والجزاء عـلى المعصيـة بمثلها كما قال تعـالى ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ (١)

أقـول اعلـم أن الله سـبحانه وتعالى خلق الخلق مـن عشر قبضات من الأفلاك التسعة ومن الأرض فخلق من العرش قلبه ومن الكرسي صدره ومن فلك زحل عقله ومن فلك المشتري علمه ومن فلك المريخ وهمه ومن فلك الشمس وجوده ومن فلك الزهرة خياله ومن فلك عطارد فكره ومن فلـك القمر حياته ومن العناصر الأربعة جسـده فخلق من كرة النار مرته الصفـراء ومن الهواء دمه ومن الماء البلغم ومن الأرض مرة السـوداء وبها تم هيكل الجسد فلما كانت الطاعة جهة النور والخير وقد خلقت مقصودة لذاتها فإذا أقبلت على المؤمن أقبل المؤمن عليها بكله فكل جهة من جهاته

(١) الانعام ١٦٠

تتوجـه بالإقبال إلى الطاعة لأنها خلقت للخير والنور فتميل تلك الجهات بميـل المؤمن إلى الطاعة ميلا غريزيا فتسـتحق طاعة واحدة عشر مثوبات بعدد كل مرتبة وهذا أقل ما في الباب وقد يكون الجزاء والثواب في بعض الطاعـات أكثر كـما في الإنفاق كما قال تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [1] ووجه المائة من جهة ملاحظة تلك العشرة معها في نفسـها وقـد يكون أكثر على حسـب إقبال المؤمن أوقوة تلـك الطاعة إما من جهة الذات أومن جهة القرانات والانتسابات.

وأمـا المعصيـة فمـن جهة أنهـا خلقت بالعرض فـلا يقبل إليهـا المؤمن بالـذات فـإذا وردت على هـذه المراتب ما قبلت إلى أن وصلت إلى الجسـد فتسـتقر لمناسبة ظلمة الجسـد بظلمة المعصية فيواقع الرجل المعصية وقلبه وسـائر قـواه الباطنية منكر لها معرض عنها فإذا تـاب وندم في تلك الحالة أوبعـد الفـراغ من غير مهلـة أومع المهلة قبل أن تمضي سـبع سـاعات فلا يكتب شيء لأنها لطخ جزئي يسـير زال قبل الاسـتقرار فـإذا لم يتب حتى صعـدت الأبخرة المنتنة إلى الخيال بعد الحس المشـترك وخرقت القبضات السـبعة الفلكية واستقرت في النفس فيظلم الرجل فيكتب بعد مضي سبع سـاعات معصية واحدة لأنها ليسـت بإقبال المؤمن إليها بكله ولذا كانت جزاء المعصية واحدا .

---

(١) البقرة ٢٦١.

إلى هنـا تمت المسـائل جعلنا الله وإياكم ممن يقبـل إلى الطاعات ويجتنب المعاصي والسيئات ثم يا أخي إني معتذر إليك من بسط المقال فإني في غاية الاختـلال من ضعـف البنية والقوى وتفرق الحـواس من كل جهة وعدم الإقبال وعدم التمكن على الاسـتقرار والله يعلم إني كتبت هذه الوريقات في كمال الضيق والاستعجال ومع ذلك طالت هذه المدة، والعذر عند كرام الناس مقبول، والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وكتب منشيها كاظم بن قاسم الحسيني في عصر يوم السبت الخامس عشر من شهر محرم الحرام سنة١٢٣٧ حامدا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين المعصومين.

أما بعد فإن جناب السائل المقدم ذكره أردف تلك المسائل بمسائل معضلة فكتبت جوابها مستعجلا مع تفرق البال واختلال الأحوال متوكلا على الله مقتصرا على أدنى ما يحصل به المطلوب والله ولي التوفيق.

الفائدة في إخبار جبرائيل الرسول ما يجري على الحسين عليه السلام

قال أيده الله تعالى هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله عالما بما يصنع بالحسين عليه السلام قبل أن يخبر به جبرئيل أم لا فإن كان عالما فما الفائدة في إخبار جبرئيل

أقول إن الله عز وجل خلق نبيه وصفيه في الخلق الأول قبل أن يخلق خلقا بأربعة عشر ألف دهر وكل دهر مائة ألف سنة ثم خلق القلم وهوأول خلق من الروحانيين عن يمين العرش وأول غصن أخذ من شجرة الخلد ثم قال له سبحانه اكتب يا قلم فقال يا رب وما اكتب قال اكتب أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فغشي على القلم من حلاوة اسم محمد صلى الله عليه وآله ألف سنة فلما أفاق أمره الله سبحانه أن يكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة وبعده إلى ما شاء الله إلى ما لا نهاية له ثم ختم على فم القلم فلم يكتب وقد جف القلم ثم جعله سبحانه عند محمد

صلى الله عليه وآله فكان بذلك خازن علم الله ومهبط وحيه فعلم أسرار ما كان وما هو كائن إلى يوم القيمة ومما كتب القلم واقعة الحسين وقد روي أنه لما وصل إلى هذه الواقعة الهائلة جرى القلم بلعن يزيد أربع مرات من غير إذن الله تعالى أي الإذن الخاص وإلا فالإذن العام كان ثابتا إذ لا ينطق ولا يكتب عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فقد علم النبي صلى الله عليه وآله جميع الأحوال والوقائع قبل إبرائها وإنشائها في أماكنها وأوقات وجوداتها فلما نزل صلى الله عليه وآله من عالم الغيب الأول إلى الغيب الثاني إلى عالم الشهادة ولما كان عالم الشهادة ضيق الفضاء كان لا تنزل تلك العلوم إليه دفعة واحدة لكنها تجري كالنهر الجاري دائم الجريان لا انقطاع له أبدا ينزل من غيبه صلى الله عليه وآله إلى شهادته ولما كان بين الأمرين لا بد من رابطة كانت تلك الروابط هي الملائكة وهي الروابط بين غيبه وشهادته صلى الله عليه وآله تأخذ من غيبه وتؤدي إلى شهادته روحي فداه مثاله الخطرات التي ترد عليك وتظهر منها في حواسك المرتبطة بجسمك فإن تلك الخطرات إنما وردت عليك من قلبك إلى ظاهر جسمك وحواسك فالملائكة هم تلك الروابط وهم ذوات متأصلة وأرواح ذوو شعور وإدراك وإرادة خلقوا من فاضل شعاع العقل الكلي الذي هو القلم لقد برزوا وظهروا منه كما برزت الأشعة من الشمس وتلك الروابط مما لا بد منه في الوجود فلا يمكن في عالم الشهادة أن يصل إليه صلى الله عليه وآله حكم من غير الملك ولا يمكن أن يأخذ الملك إلا عن غيبهم لأن العلم أشرف من كل شيء ومحله يجب أن يكون أشرف لحكم المناسبة فلوكان سواهم

حملـة العلم كانوا أشرف من محمد وأهل بيته صلى الله عليهم أجمعين كيف وإن جبرائيل ما عرف الله سـبحانه إلا بعد أن عرفه إياه علي عليه السـلام وقـد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لجبرائيل ممن تأخذ الوحي قـال من إسرافيـل قال صلى الله عليـه وآله وهو ممن يأخـذ الوحي قال من ميكائيـل قـال صـلى الله عليـه وآله هو ممـن يأخـذ الوحي قال مـن اللوح واللـوح من القلم انتهى وقد عرفـت أن القلم متأخر عن النور الأحمدي صلى الله عليه وآله حتى أنه غشي عليه ألف سـنة عند سماع اسمه الشريف فصح لك أنه صلى الله عليه وآله كان عالما بما يصنع بالحسـين عليه السـلام قبـل خلق جبرائيـل في عالم الغيب إلا أن جبرائيل واسـطة تنزل العلم من غيبه إلى شـهادته فكان في عالم الأجسـام بواسـطة جبرائيل وسائر الملائكة وفي عالم الغيب كان يعلم جبرائيل بواسطته صلى الله عليه وآله فافهم.

معنى خلق الأشياء بالمشيئة والمشيئة بنفسها

قـال وفقـه الله تعالى ما معنى خلق الله الأشـياء بالمشـيئة وخلق المشـيئة بنفسها

أقـول اعلـم أن المشـية هـي الذكر الأول كـما قال الرضا عليه السـلام ليونـس بـن عبـد الرحمن أتدري ما المشـيئة قـال لا قال عليه السـلام هي الذكر الأول والأشـياء ما عداها كلها مذكورة بالذكر فمنها ما هو مذكور بالإمـكان ومنها ما هو مذكور بالكون ومنها ما هو مذكور بالكون الغيبي ومنها ما هو مذكور بالكون الشـهودي وقد أشـار إلى القسم الأول مولانا

الصدق عليه السلام عند تفسير قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [1] قال عليه السلام (كان مذكورا في العلم ولم يكن مكونا) ولا شك أن المذكور مسبوق بالذكر فيكون الذكر الأول هو السابق على كل شيء ولو كان هذا الذكر قديما لا يخلو إما أن يكون عين الذات أو غيرها فإن كان عين الذات يلزم الكثرة والتركيب في الذات لأن الذكر له ارتباط بالمذكور وإلا لم يكن ذكرا فيكون له جهتان فإذا كان الذكر عاما فله صلوح الروابط الخاصة فتكثر الجهات بتكثر المذكورات فلا يكون الأزل صمدا لتعدد الجهات والنسب فيه ولذا قال عليه السلام (لا تكون الإرادة إلا والمراد معه)

وإن كان غير الذات تعدد القدماء فيجب أن يكون حادثا فحينئذ لا يخلو إما أن يكون حادثا بنفس ذكره فهو المطلوب أم بذكر آخر فينقل الكلام فيه فيتسلسل وهو باطل بالضرورة في هذا المقام مع أنك إذا رجعت إلى وجدانك وجدت أنك أولا تذكر شيئا من غير سبق شيء ثم تحكم على ذلك الشيء بالإثبات أو النفي وليست إرادتك إلا ذلك الذكر ولم يكن قبل ذلك الذكر شيء سوى ذاتك وقد أحدثت ذكرا بنفسه ثم رتبت عليه حكما من الأحكام.

ووجه آخر أن المشيئة هي فعل الله سبحانه وما سواها من المخلوقين كلهم مفعول والمفعول مسبوق بالفعل ومتقوم به والفعل لو كان مسبوقا بفعل آخر لزم التسلسل ولو كان عين الذات وجب أن لا يفارقها مع أن

---

(١) الانسان ١

الفعل يوصف بالنفي والإثبات تقول فعل ولم يفعل فتنفي مع بقاء الذات فوجب أن يكون مخلوقا بنفسه.

ومعنى أن المشيئة مخلوقة بنفسها أنه ليس بينها وبين الذات سبحانه وتعالى وصل واتصال ولا فصل وانفصال ولا نسبة ولا تضاد ولا تخالف ولا توافق إذ في صورة الفصل إن كانت الفاصلة نفسها لم تكن فاصلة وإن كانت غيرها والمفروض عدمه.

وفي صورة الاتصال لا بد من مشابهة ومناسبة في الملتقى فيكون الخلق حقا أم الحق خلقا ويلزم التحديد عند الاتصال إذ لو لم تعتبر الجهات والمغايرة جاءت الوحدة وارتفع الاتصال وإذا عبرت وجب التحديد وهو باطل بالضرورة وفي صورة النسبة يلزم التركيب واتحاد الأصقاع إذ لا بد من وجود النسبة في المقامين فيكون في كل من المنتسبين ذات وجهة ارتباط إلى الآخر وهو التركيب وفي صورة التضاد لم يتصور كونها مخلوقة إذ الضدان متعادلان في القوة والوجود فلم يكن أحدهما محدثا والآخر محدثا بفتح الدال في الثاني وكذلك المخالفة والموافقة.

وأما كيفية هذا الصدور فلا كيف لها فلا تعرف بالكيف كما قال مولانا الرضا عليه السلام (وإنما إرادته إحداثه لا غير لأنه لا يروي ولا يهم ولا يفكر وإنما يقول للشيء كن فيكون من غير لفظ ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف له)[1] ولا بيان أعظم مما ذكرنا في مقام العبارة والله الموفق للصواب.

---

(١) في مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي ص ١٤٠ : عن الصدوق رحمه الله قال حدثنا الحسين بن أحمد ابن ادريس رضي الله عنه عن ابيه عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى قال : قلت لابي الحسن عليه السلام اخبرني عن الارادة من الله ومن الخلق قال فقال الارادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك

المشيئة قبل الصفات الفعلية

قال سلمه الله تعالى: وهل الصفات الحادثة الفعلية خلقت قبل المشيئة أم بعدها؟

أقول: إن النحاة ذكروا أن الفعل هو الأصل في العمل وأن الفعل هو الذي يرفع الفاعل ومقتضى هذا القول المتفق عليه أن يكون الفعل مقدما على تلك الصفات لأنها هي الأسماء كقولك الخالق الرازق المحيي المميت وأمثالها من الأسماء وأيضا قالوا أن اسم الفاعل مشتق من الفعل أو المصدر وهو أيضا دليل على تقدم المشيئة على الأسماء لأن العامل أشرف من المعمول وهو المؤثر في المعمول والمنفعل المتأثر لا يتقدم على الفاعل المؤثر وكذا المشتق منه أصل للمشتق والمشتق فرع لأن الاشتقاق اقتطاع فرع من أصل وهذا لا إشكال فيه ولكنهم أيضا اتفقوا على أن الفعل لا قوام له إلا بالفاعل وهو الأصل والفعل فرع له وهو أشرف من الفعل حتى أنهم لا يعرفون من الفاعل إلا الذات فمقتضى هذا القول أن يكون الأسماء والصفات مقدمة على المشية التي هي الفعل وحقيقة الأمر هي أن الاسم ظهور المسمى بالأثر وذلك الظهور إنما هو قائم بالأثر قيام تحقق ألا ترى أن القائم اسم لظهور زيد بالقيام والقاعد لظهوره بالقعود والعالم لظهوره بالعلم وأمثالها فالأثر مساوق للظهور بل الظهور هو الوجه الأعلى منه وذلك الأثر إنما هو متقوم بالتأثير الذي هو الفعل وصادر عنه والمشيئة هي

من الفعل واما من الله عزوجل فارادته احداثه لا غير ذلك لانه لا يروي ولا يهم ولا يتفكر وهذه الصفات منفية عنه وهي من صفات الخلق فارادة الله هي الفعل لا غير ذلك يقول له كن فيكن فلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما انه بلا كيف.

التأثير والإحداث الذي هو الفعل والأثر هو المصدر الذي هو المفعول المطلق.

وهذا المصدر له ثلاث جهات:

الأولى جهته إلى مبدئه وذكر علته فيه.

والثانية جهة تعلقه بغيره.

والثالثة مقام تحققه في نفسه.

فمن الجهة الأولى يشتق الاسم الفاعل ومن الجهة الثانية يشتق الاسم المفعول ومن الجهة الثالثة المفعول المطلق فالاسم مشتق من المصدر والمصدر مشتق من الفعل فالاسم متأخر عن المصدر ولذا تراه يعمل فيه والمصدر متأخر عن الفعل ولذا يقع تأكيدا ومعمولا له فتكون حينئذ الأسماء متأخرة عن الفعل الذي هو المشيئة ألا ترى اختلاف الأسماء وتعددها في زيد مثلا إنما هو من جهة اختلاف آثاره والفعل واحد فإذا صدر عنه القيام اشتق له اسم القائم وإذا صدر عنه القعود اشتق له اسم القاعد وهكذا فتكون الأسماء هي جهات ظهورات الذات بالفعل والتأثير وهي لا شك أنها متأخرة عن الفعل.

وأما وجه التقدم فهومن جهة الدلالة والذكر فإن الفاعل أي الاسم الفاعل هو حكاية الفعل للمفعول عدم استقلالية نفسه وهومقام طي الوسائط مثلا إذا نظرت إلى المرآة فإنك تلتفت إلى زيد المقابل مثلا وتحكم عليه مع قطع النظر عن كونه مثالا لزيد في (المرآة) ولا ريب أنه مثال متأخر عن تأثير زيد ومقابلته للمرآة لأن تلك الصورة إنما حدثت من جهة المقابلة

وهـي العلة لوجودهـا لكنك حين التفاتك إلى الصـورة تلتفت إلى الذات ووتقطع التفاتك عن المقابل والتأثير وساير القرانات والوسايط الحاصلة مـع أنها كلها مقدمة على تلـك الصورة الحاكية فافهـم إن كنت تفهم وإلا فاسلم تسلم.

واعلـم أن هذه المسـألة من أغمض المسـائل في التوحيـد إلا أني أشرت إليها إشـارة يسيرة تنبيها إلى نوع المقصود فمن كان له قلب أوألقى السمع وهو شـهيد يرى الأمر على ما ذكرت واضحا ظاهرا والله ولي التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

المشيئة أم الحقيقة المحمدية

قال سـلمه الله تعالى: هل الصادر الأول هو المشـية أم الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله

أقول: اعلم أن الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله بالنسبة إلى المشيئة كالانكسـار بالنسـبة إلى الكسر والكسر وإن كان مقدما على الانكسار إلا أنـه لا تحقق له إلا بالانكسـار إذ لولم يكن الانكسـار لم يكن الكسر ولولا الكسر لم يكن الانكسـار كل واحد منهما شرط لتحقق الآخر والانكسـار محل للكسر وبه تمام الكسر وأحدهما قائم بالآخر قيام تحقق وعضد ويقال أيضـا أن الحقيقة المقدسـة قائمة بالمشـية قيام تحقق والمشـيئة قائمة بها قيام ظهور وهوقوله عليه السـلام نحن محال مشـيئة الله ولا تظهر آثار المشـيئة في الأكـوان والأعيـان إلا بتلك الحقيقة الشريفة صـلى الله عليه وآله وهي

الزيت الذي يكاد يضيء ولولم تمسسه نار المشيئة

وهنا أحوال عجيبـة وأسرار غريبة يضيق صدري بإظهارها ولا يضيق بكتمانها

أخاف عليك من غيري ومني ومنك ومن زمانك والمكان

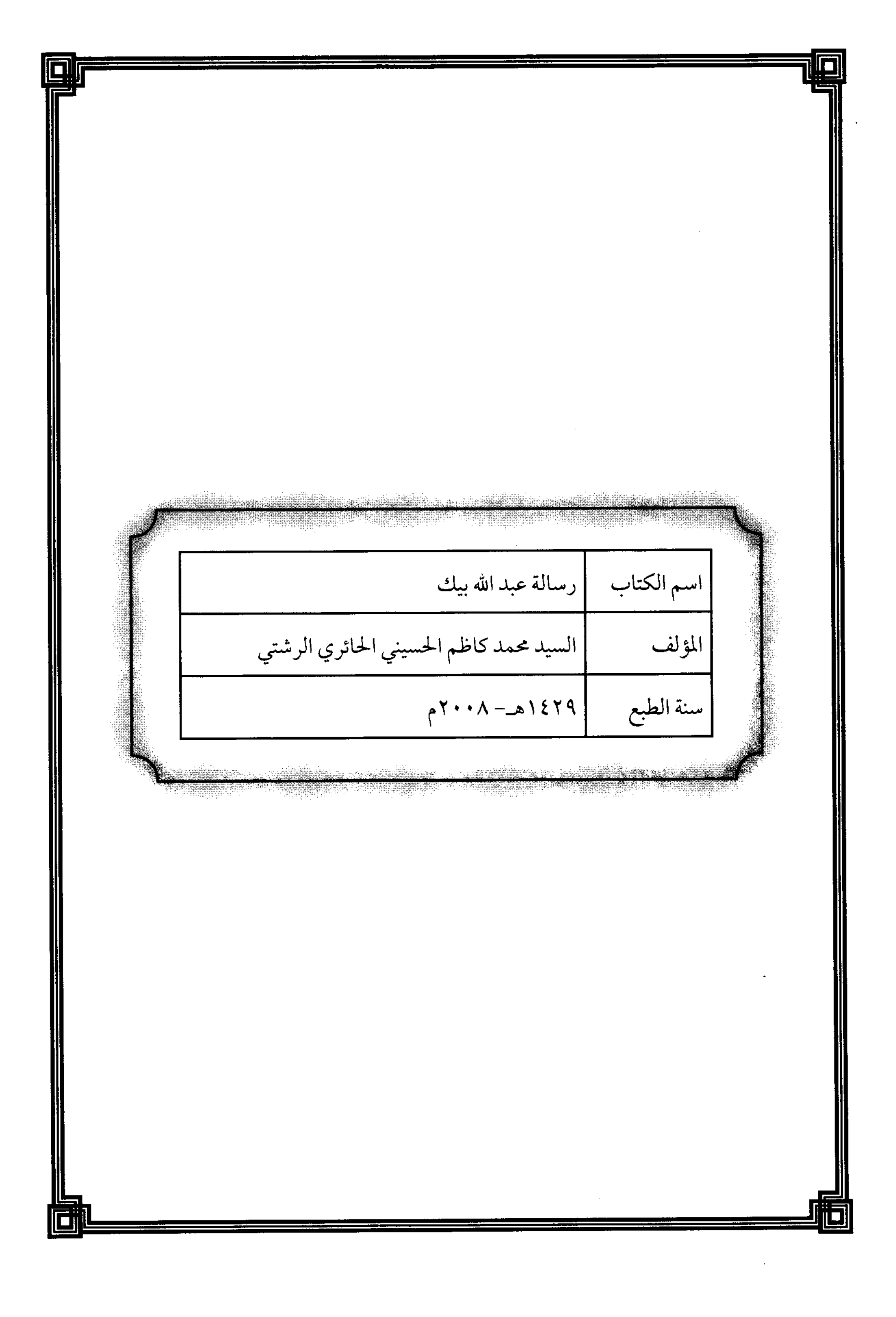
ولوأني جعـلتك في عيــــوني إلى يوم القيمة ما كفاني

قـال سـلمه الله تعـالى: وعـلى أي التقادير هل خلقه الله سـبحانه بذاته أوبأمـر آخر وإن كان الثاني فأي شيء هو والمفروض أنه لم يكن هناك شيء غير الذات

أقول: هذا آخر مسائله وفقه الله لمراضيه.

اعلم أنا قد ذكرنا لك سـابقا عن كلام مولانا الصادق عليه السـلام أنه سـبحانه خلق المشيئة بنفسـها ثم خلق الأشيا ء بالمشيئة وبيّنا معنى خلقها بنفسها أنه لا بمشية غيرها ولا بذاته تعالى لأن الذات سبحانه وتعالى ليس لها مع غيرها ربط ولا نسـبة ولا وصل ولا فصل ولا تباين ولا تخالف لما ذكرنا سابقا فلا نعيد والسلام على اتبع الهدى وخشي عواقب الردى وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المحتويات



اسم الكتاب	رسالة عبد الله بيك
المؤلف	السيد محمد كاظم الحسيني الحائري الرشتي
سنة الطبع	١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م